تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

روعة الانتساب التعبدي

د. فريد الأناصاري ص : 6

إصلاح القلوب أقصر طريق لرتق الجيوب، وتنقية العيوب

ذ. المفضل فلواتي ص : 2

البريد الإلكتروني : almahajja@maktoob.com

المحجة

■ المدير المسؤول : المفضل فلواتي
جامعة نصف شهرية
الثمن : 3 دراهم
26 رمضان 1430 ـ 16 شتنبر 2009
العدد : 324

بعض أساليب المنافقين في الحرب على الإسلام قديما وحديثا

د. مصطفى بنحمزة ص : 4

رمضانيات

رمضان وبعثة حضارة القرآن

ذ. يونس اليماني ص : 7

فطور رمضان : سبع حبات زيتون وماء أصفر

د. عبد الرحيم بلحاج ص : 3

شؤون فلسطينية

الانتفاضة في شهر رمضان

ذ. أبو القاسم البوعزاوي ص : 9

روسيا : بين منافسة القطبية وتراجع المكانة الدولية

في التربية والتعليم

المسألة العلمية في العالم الإسلامي : نظرات في واقع الحال واستشراف المآل

د. الطيب الوزاني ص : 12

أي إصلاح لأي منظومة تعليمية؟

ذ. عبد القادر لوكيلي ص : 13

صفات الشخصية المسلمة

د. ابراهيم بن لبو ص : 11

معجزة الصلاة في الوقاية من مرض دوالي الساقين

ذ. امحمد رحماني ص : 10

إصْلاحُ القُلُوب أقْصَر طريقٍ لرتْقِ الجُيُوب، وتنْقِية العُيُوب

إن الله تعالى عندما قال : ﴿**فإنَّها لا تعْمَى الإبْصار ولكنْ تعْمَي القُلُوب التي في الصُّدُور**﴾(الحج : 46). وضعَ أيْدي الأمّة على مكانِ الدّاء وهو القلْبُ الذي قال فيه الرسول ﷺ «**ألا وإنّ في الجَسد مُضْغةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّه وإذا فَسَدتْ فسَدَ الجسد كُلّه ألا وهِي القَلْب**»(متفق عليه).

لأن الله عز وجل لا ينظُر إلى صُورنا وأشكَالنا وحركَات جوارحنا ولكن ينْظُر إلى قُلوبنا المتحكمة في الأشكال والصُّور وأعمال الجوارح، فالصّلاة الصادرَة عن قلْبٍ مُنافق مُراءٍ لا تساوي ذرَّةً في ميزانِ الله تعالى، وكذلك الصيام والحجّ وكُلّ أعمال البرِّ.

ثم إن المحاسبة يوم القيامة ستكونُ على ما تُضْمره القُلوب والسرائر ﴿**أفلا يعْلَمُ إذا بُعْثِرَ ما في القُبُور وحُصِّلَ ما في الصُّدور**﴾(العاديات : 10) ﴿**إنّه على رجْعِه لقادرٌ يوم تُبْلَى السّرائِر**﴾(الطّارق : 9).

بلْ أكثرُ من ذلك نجدُ أن اللّه تعالى بيّن لنا أنه لا يُنْجي المسلم يوم القيامة من العذاب، وينْفعُه في الظّفر برضوان الله إلا الإقبالُ على الله عز وجل بالقلْب السّليم الخالي من الشرك والنفاق ﴿**يوْم لا ينفَعُ مالٌ ولا بنُونَ إلاّ من اتى الله بقلبٍ سليم**﴾(الشعراء : 89) ولإيجاد هذا القلب السليم كانتْ «لا إلَه إلاّ اللّه» معْتَقَداً، وكانتْ الصّلاةُ والصيامُ والحجّ مُتعبّداً، وكانت الزّكاة تطهيراً من الجشَع والبُخْل وعبادَة المال، وعبادَة الدّنيا التي لا دوامَ فيها ولا خُلُود.

فلماذا نجد الشّعوبَ المُسْلمة تصُومُ وتُصَلّي وتحُجُّ ومَع ذلك يُعَشِّشُ فيها الغشّ والكذبُ والخيانَة؟! ويتفشّى فيها الإجرامُ والطغْيانُ والتسلّط؟! وينتشرُ فيها الاستبدَادُ والأثَرة وعبادةُ المصلحَة الشخصية؟!

السّبَبُ أنّ تلك العبَادات مُجرَّدُ صور وأشْكالٍ لأداء تلْك العبادات، وليستْ عباداتٍ حقيقيَّةً، فإذا كان الله تعالى يقول ﴿**وأقِمِ الصّلاةَ لذِكْرِي**﴾(طه : 13) ويقول : ﴿**إنّ الصّلاةَ تَنْهَى عن الفحْشاء والمُنْكر**﴾(العنكبوت : 45) فهلْ يسْتقيمُ في العقْل أن ترَى الفواحش والمنكرات الكبيرة يتصدّر قوائمَها كبَارُ القوْم من المُصَلّين والحُجّاج والمعتمرين؟! فمنْ يَسْرق الملايير من المال العام؟! ومن يأخذ الرّشاوى بالملايين؟! ومن يُتاجر في الخمور والمخدّرات ومنْ يبْني العمارات ويسْتَولي على الهكتارات؟! ومن يحْكم على الضّعفاء والمحرومين بأفْدَحِ الغرامات، وأقسَى العقوبات؟! ومن يصادر الحرّيات ويفْتَحُ الزّنازين والمعتقلات؟! ومنْ يُميِّع الأخلاق ويُفْسِد سلُوك الشّباب والشّابات، ومنْ يخْدعُ الشعوب بالإعلام المُصنَّم للذوات والشّخْصيات؟! و من يُوالي أعداءَ الله وأعداءَ الدين، وأعْداءَ الأمّة؟! ومنْ يَبيعُ قضَايا الأمّة والأوطان بأبخَسِ الأثمان؟!

إنّ الشعوب والمُجْتمعات المسلمة في حاجة إلى مراجعة جذريّة للقلوب لتنْقيتها من الأمراض التي أفْسَدَت الأمّة وجعلتْها غارقةً في التبعيّة الذليلة لقُوى الكُفْر المُبْعدَة عنْ معْرفة الله تعالى وتقْواه بصدْقٍ وإخلاص، في السِّرِّ والعلانية، في الظاهر والباطن، في السرّاء والضراء. مراجعة جذرية لعلاقَتها بالكُفْر والكافرين، والنفاق والمنافقين. مراجعة جذرية لعلاقتها بثقافة المستعمر والمستعمرين، وثقافة الانهزام والمنهزمين. مراجعة جذرية لعلاقتها برب العالمين، وقرآن الرحمان الرحيم الذي أنزله الله على الأمة لهداية العالمين!! وإسعادهمْ يوم الدِّين!!

وهذا لا يتحَقَّقُ إلاّ بالانتقال من الأكْوان إلى المُكوِّن، ومن المخلوقات إلى الخالق، ومن النِّعَم إلى المُنْعم، ومن الأمْر إلى الآمر، ومن النصْر إلى النّاصر. ومن العافيَة إلى المُعافي، ومن الحمْد إلى المحْمُود، ومن الشكْر إلى المشكور... ليتحَقَّق الإحْسَان في العبادة، الإحْسان الذي قال فيه رسول الله ﷺ : «**أن تعْبُدَ الله كأنّك تراهُ، فإن لم تكُنْ تراهُ فإنه يَراك**».

فالصلاة بدون حُضُور القلْب المستحضِر لعظمة الله الذي تعنُو له الوجوه والجباه، وتخشعُ له الجوارح والجلود والمشاعر هي صلاة ميتَةٌ.

والصيام بدون صيام القلْب عن جميع الشهوات والمفاسد هو صيام باردٌ، وقراءَة القرآن بدون اقشعْرار القلوب من خشية الله تعالى قراءة باردة.

فاسْتحضارُ عظمة اللّه تعالى في الحركة والسكون، في التفكير والتدْبير، في القوْل والفعل، في الصلاة والتسْبيح، في الإقبال بلذّةٍ وشوْق على تنفيذ ما أمر الله تعالى به، وفي الإقبال بلذة وشوق على ترك ما نهى الله عنه، في الإقبال على التحدِّي باللّه كُلّ قُوَى البغْي والطّغْيان، وكُلّ نوازِع الشرِّ والبُهْتان هو العبادة.

بل استحضار عظمة الله تعالى ومقامهُ في كُلّ شيء هو لُبُّ العبادة، وجوْهَرُ العبوديّة الخاشعة لربِّ العزّة غير المتناهية ﴿**وأمّا من خَافَ مقامَ ربِّه ونهى النّفْسَ عن الهَوَى فإنّ الجنّة هي المَأْوَى**﴾(النازعات : 39- 40).

والوصول إلى هذا :

● يتطلّب تعْليماً خاشعاً يبْدأ من ﴿**اقْرأ باسْم ربِّك**﴾ إلى ﴿**وأتممْت عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الاسْلام دينا**﴾ مُروراً بـ : ﴿**ومنْ يبْتَغِ غيْر الاسلام ديناً فلنْ يُقْبَلَ منْهُ وهُو في الآخرة من الخاسِرين**﴾.

● ويتطلّب إعلاماً خاشعاً يبْدأ من ﴿**وإلى ربِّك فارغَبْ**﴾ إلى ﴿**كَلاّ لا تُطعْهُ واسْجُدْ واقْتَرِب**﴾ مروراً بـ : ﴿**إنّ الذينَ آمنُوا وعملوا الصّالحات أولئك همْ خَيْرُ البريئة**﴾ و﴿**ذَلك بأنّ اللّه مولَى الذين آمَنُوا وأنّ الكَافِرين لا مولَى لَهُم**﴾.

● ويتطلب قيادة صالحة تبدأ من : ﴿**ربِّ أوْزِعْني أن اشْكُر نعْمَتَك التي أنْعَمت عليّ وعلَى والدَيّ وأنْ اعْمَل صالحاً ترْضاهُ وأدْخلْني برحْمتك في عبادك الصّالحين**﴾ إلى : ﴿**هذا من فَضْل ربِّي ليَبْلُوني أشْكُر أم اكْفُر ومَن شَكَر فإنّما يشْكُر لنَفْسه ومَنْ كَفَر فإنّ ربِّي غَنيٌّ كَريمٌ**﴾ مروراً بـ : ﴿**إنّ خَيْر من اسْتَأجَرْت القويُّ الامينُ**﴾ وبـ : ﴿**اجْعَلْني على خَزَائِن الأرْضِ إنِّي حَفيظٌ عَليمٌ**﴾.

فإذا توافر التعليم الصالح والإعلام الصالح، والقيادة الصالحة، نرجُو أن تنْصَلح القُلُوب، وتُرتّق القناعَة الجُيُوب، وتُطهر مراقَبَةُ علاّم الغُيُوب النُّفُوسَ من كُلّ الأوساخ والأدْران والعُيُوب ألمْ يقُلْ ﷺ : «**لا يسْتَقيم إيمانُ عبْدٍ حتّى يسْتَقيم قلْبُه**»(رواه أحمد). وألَمْ يقل الله تعالى : ﴿**إنّ الذين هُم من خَشْية ربِّهم مُشْفقُون والذين هم بآيات ربِّهم يومنُون و الذين هم بربِّهم لا يُشْركُون والذين يوتُون ما آتَوْا وقُلُوبُهم وجلَة أنّهُم إلى ربِّهم رَاجعُون أولئك يُسارعُون في الخَيْرات وهُمْ لَها سابقُون**﴾(المومنون : 57- 62).

ذ. المفضل فلواتي

تهنئة بمناسبة مناقشة رسالة

باسم المكتب الإداري يتقدم جميع الأعضاء العاملين بجمعية النبراس الثقافية بأحر التهاني إلى الأخ محمد بنعيادي بمناسبة حصوله على شهادة الدكتوراه في موضوع :

"فقه التواصل الحضاري والظاهرة الاستغرابية من خلال المتن السفاري المغربي"

وبهذه المناسبة الكريمة نتمنى للأخ الكريم الاستاذ محمد البنعيادي مزيدا من التوفيق والنجاح في حياته العلمية.

إشراقة

الإستئذان للجلوس بين الرجلين والدخول بينهما

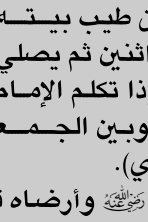

ذ. عبد الحميد صادوق

عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما»(رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن).

وفي رواية لأبي داود : «لا يجلس بين رجلين إلا بإذنهما».

هذه من الآداب الكريمة التي كان يلقنها النبي ﷺ لأبناء الأمة، فقد يكون بين الإثنين كلام خاص فيشق عليهما قطعه بالتفريق بينهما، قال العلقمي رحمه الله تعالى : إذا تناجى إثنان ابتداءً وثمة ثالث بحيث لا يسمع كلامهما فأتى ليسمع تناجيهما فلا يجوز. وقال ابن عبد البر : لا يجوز لأحد الدخول على متناجيين حال تناجيهما. والجلوس بينهما في حكم الدخول عليهما. وعن أبي عبد الله سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»(رواه البخاري).

سلمان الفارسي رضي الله عنه وأرضاه قال أهل السير عاش مائتين وخمسين سنة، وهذا السن متفق عليه بين أهل السير، وقيل ثلاثمائة وخمسين سنة. وهذا الحديث فيه بيان آداب الدخول إلى مجالس الناس والجلوس بينهم، وأن على المجالس للناس أن يراعى حسن الهيئة، وطيِّب الرائحة «فيتطهر» قال ابن حجر : المراد به المبالغة في التنظيف.

و«يدهن» ليُرَقِّد شعث شعره ويحسن من هيئته. و«يمس من طيب بيته» وفي رواية زيادة «ويلبس من صالح ثيابه» ليكون ريحه طيباً وحاله حسناً.

«فلا يفرق بين اثنين» وهو المقصود في الباب إلا إذا استأذنهما أو كان بينهما من الفراغ ما يكفي لجلوسه فإذا التزم المسلم بهذه الآداب عند حضوره مجالس الذكر مع إخوانه كان ذلك كفارة لذنوبه، قال العلماء : إن تكفير الذنوب مشروط بوجود ما تقدم من غسل، وتطيب أو دهن ولبس أحسن الثياب، وترك التفرقة بين الإثنين، وترك اللغو.

جريدة المحجة
■ المدير المسؤول : المفضل فلواتي
الموقع الإلكتروني : www.almahajja.com
■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)
الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113
الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

محطات إخبارية - محطات إخبارية

المغاربة في طليعة الأدمغة العربية المهاجرة

ورد في التقرير الجديد لقسم السكان وسياسة الهجرة بالجامعة العربية الذي استقى معطياته من إحصائيات رسمية لمنظمة العمل الدولية وكذا منظمة اليونسكو، وهيئات دولية وعربية مختصة أخرى أن مئة ألف تقريبا من الأطر العلمية العالية العربية من أطباء ومهندسين.. من المغرب وتونس ولبنان وسوريا والعراق والأردن ومصر والجزائر.. تركب سفينة الهجرة الدائمة سنويا إلى الدول الأوروبية ودولتي أمريكا الشمالية من أجل البحث عن عمل ملائم لكفاءاتهم العلمية..

وجاء في التقرير نفسه أن :

- حوالي 70 ألفا من حاملي الشهادات الجامعية العالية العرب يختارون الهجرة عن بلدانهم الأصلية للبحث عن العمل بالخارج.

- 54 في المائة من الطلاب العرب الذين يتابعون تكوينهم بالخارج ، يفضلون عدم العودة إلى بلد المنشأ، من ضمنهم 70 في المائة من طلاب الشعب العلمية. ويتعلق الأمر على هذا الصعيد ب 50 في المائة من الأطباء و23 في المائة من المهندسين و15 في المائة من رجال الاختصاصات العلمية الدقيقة ممن يتوجهون إلى أوربا، الولايات المتحدة الأمريكية وكندا.

وحسب التقرير، فإن وضع حد لهذا التدفق البشري للأطر العلمية العربية نحو الدول الغربية سيسمح بتوفير حوالي مليار وسبعة وخمسين مليون دولار سنويا، لذلك أهاب التقرير بالدول العربية المعنية ، اتخاذ تدابير استعجالية للحد من هذه الظاهرة السلبية على مستوى مستقبلها الاقتصادي والاجتماعي، من قبيل خلق مناصب شغل في مستوى هذه الكفاءات العربية لتحفيز الطاقات العربية الشابة المكونة محليا أو بالمهجر، وتوظيف إمكانياتها العلمية وتجاربها لأجل رقي وتقدم بلدانها سواء على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي.

عن جريدة الاتحاد الاشتراكي 2009/9/9 بتصرف

وزير الداخلية الألماني يدعو للاعتراف بالإسلام

أعلن وزير الداخلية الألماني فولفجانج شويبلة أنه يسعى على المدى البعيد لتحقيق اعتراف رسمي بالدين الإسلامي في البلاد، ومنح المنظمات الإسلامية وضعاً قانونياً مشابها لما تتمته به الكنيستان الكاثوليكية والبروتستانية.

وعبر الوزير الألماني عن أسفه لعدم دعوة أي من ممثلي المسلمين للمشاركة في احتفال رسمي أقيم في ٢٣ مايو الماضي بمناسبة مرور ٦٠ عاما عل يتأسيس ألمانيا الحديثة وصدور دستورها، وشدد على أن ما حدث في هذا الاحتفال شكل خطأ لن يتكرر في المناسبات القادمة، واعتبر شويبلة في مقابلة أجرتها معه صحيفة «ديرتاجستسايتونج» الصادرة في برلين أن تراجع مستوى الأحكام المسبقة تجاه المسلمين، وتضاؤل حجم المعارضة الشعبية لبناء المساجد في السنوات الأخيرة، يعد مؤشراً على عدم وجود مخاوف من الدين الإسلامي في المجتمع الألماني.

عن مجلة الأزهر بتصرف ع 2009/8

نداء لمن يعنيه أمر الإنسانية، فهل من مغيث؟

إنما أشكو مرضي إلى الله، وأخذا بالأسباب أتوجه إلى المحسنين عافاهم الله من كل كرب وبلاء، لعل الله يجعل على أيديهم سببا في إنقاذ روح، وهم ولا شك يعلمون أنه «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب القيامة»، وأراد الله أن أبلغ من العمر 54 سنة، متزوج و عاطل عن العمل، عادم الصحة، وأب لأربعة أطفال، أعاني من عدة اضطرابات منها قرحية وقلبية وبصرية وسمعية وصراعية، لكن الأخطر على صحتي هو ظهور عضو خطير يركن صامتا في الجسم، فتاك خبيث وقاتل، إنه سرطان البروستاتا الذي تقدم في مرحلته، وأدعو الله إنقاذي لإتمام بقية الحياة من أجل أولادي لازالوا صغارا، فلا تبخلوا عن روح عزيزة عند الله، وإنقاذها يساوي مكاناً في الجنة بجوار الرسول الأعظم سيدنا محمد [، فالأموات سابقون ونحن اللاحقون بهم، فإنني أستغيث إليكم وأنا روح بين "الموت والحياة" فلقد تعرضت أسرتي للإفراغ بعد حكم قضائي قاسي بالإكراه، وذلك لعدم أداء واجبات الكراء، حكم بدون رحمة ولا إنسانية، ونداءي هذا يخاطب أحباء الله المؤمنين خاصة وأنني لا أملك الشجاعة للتسول في الشوارع يستركم الله يوم القيامة، أحسن الله إليكم وجزاكم عني كل خير وأعزكم الله كما أعز الإسلام.

مصدق عيسى بن محمد الهاتف : 0642759544

تنامي ظاهرة اختطاف الأجنبيات لأبنائهن من أزواجهن المغاربة

وضعت عائلة زوجة المهاجر المغربي عبد العالي الفيزازي (22 سنة) مقيم بالدانمارك شكاية لدى شرطة هذا البلد من أجل انتزاع حضانة أبنائه الثلاثة منه بدعوى أنه يرغمهم على الصيام خلال شهر رمضان. كما سبق لزوجة هذا الأخير الدانماركية أن قامت، بتحريض من عائلتها المقيمة بالنرويج، باختطاف الأبناء الثلاثة في قصة شبيهة إلى حد ما بما تعرض له طفلا البطل العالمي خالد السكاح اللذان أقدمت طليقته النرويجية على اختطافهما بدعم من سفارة النرويج بالرباط.

كما أنه سبق لعائلة الزوجة أن اتهمته أمام الشرطة، عندما تقدم بشكاية عن الاختطاف، بكونه يعتدي عليهم ويشكل خطرا على حياتهم، ودليلها على ذلك أنه أجرى لأحد أطفاله عملية ختان وفق الطريقة الإسلامية.

وأنه مسلم متعصب يرغم أطفاله على صيام شهر رمضان بالرغم من كونهم ليسوا مسلمين..

وكان عبد العالي الفيزازي، قد تعرف على جوانا الدانماركية عندما هاجر إلى الديار الدانماركية بداية التسعينات، واتفقا على الزواج بعد أن قبلت الدخول إلى الإسلام وغيرت اسمها إلى جليلة وصارت تتلقى دروسا عن التعاليم الإسلامية.

بعد سنتين على زواجهما ومكوثهما معا بالدانمارك، عبرت جليلة عن رغبتها في الذهاب إلى المغرب من أجل التعرف على أهله والوقوف على حقيقة الإسلام. وبعد قضائها مدة قصيرة وسط أقارب الزوج خلال العطلة الصيفية، ستطفو على السطح أولى بوادر الخلاف بين الزوج المغربي وزوجته الدانماركية، وكان سبب ذلك هو ما اعتبرته جليلة تناقضات ما بين تعاليم الإسلام التي اطلعت عليها إبان مقامها بالدانمارك وما تشاهده من ممارسات صادرة عن المغاربة منافية لتعاليم الإسلام، حيث هالها الاختلاط على الشواطئ المغربية. ومقابل ذلك، أعجبت الزوجة بحرارة الاستقبال المغربية.

عن جريدة المساء عدد 2009/9/9 بتصرف

مقهى صهيوني يستخدم «البسملة» لزخرفة كؤوس الخمر!!

كشف شاب عربي من مدينة «يافا» الساحلية، داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1948م، عن استخدام كؤوس وأكواب ورقية نُقشت عليها عبارة «بسم الله الرحمن الرحيم» في مقهى يُدعى «دلال» بمدينة تل الربيع (تل أبيب).

وقد استنكرت قيادات دينية إسلامية في يافا استخدام عبارة «البسملة» داخل هذا المقهى الصهيوني... ومن جهته، نفى مسؤول في المقهى أن تكون الكؤوس والأكواب الورقية من صنع المقهى ذاته، وزعم أنها تابعة لأحد مصانع الخمور الصهيونية.

يُشار إلى أن هذه ليست الحادثة الأولى التي يكشف فيها عن انتهاكات ضد الشريعة الإسلامية في مقاه ونوادٍ ليلية صهيونية، حيث كُشف قبل أشهر عن استعمال صورة قبّة الصخرة المشرّفة على زجاجات خمر صهيونية.

مجلة المجتمع ع 1866

الهيئة الإسلامية العليا ترفض تدويل القدس

أصدرت الهيئة الإسلامية العليا بالقدس بياناً استنكرت فيه الدعوة، المتجددة إلى تدويل مدينة القدس، وأكد الشيخ عكرمة صبري رئيس الهيئة أن تدويل القدس أمر مرفوض عند كل عربي ومسلم، وأن طرح الرئيس الأمريكي باراك أوباما لهذه الفكرة لن يلقى قبولاً، مشدداً على أن القدس عربية خالصة وليس لأحد أي حق فيها.

عن مجلة الأزهر بتصرف ع 2009/8

للمرة الأولى.. رفع الأذان فوق أعلى قمة جبلية في العالم

لأول مرة في التاريخ، رفع الشاب السعودي «فاروق بن سعد الزومان» الأذان فوق أعلى قمة جبلية في العالم، وهي قمة «إفرست» بجبال «الهيملايا» ، بعد تسلقها مع فريق يضم أربعة أمريكيين وبريطانياً وكندياً وعُمانياً.

وقال الزومان (30 عاما) : «استعددتُ لهذه المخاطرة منذ أكثر من شهر بأربعة معسكرات على سفح الجبل بين الحدود الصينية النيبالية»، مشيراً إلى أنه كان يراوده حلم رفع الأذان فوق أعلى قمة خلقها الله على الأرض، التي يبلغ ارتفاعها 8847 متراً.

مجلة المجتمع ع 1866 بتصرف

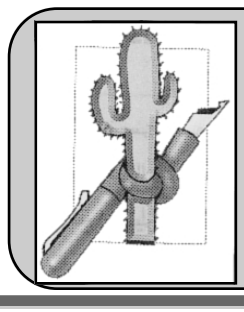

ألم قلم

فطور رمضان : سبع حبات زيتون وماء أصفر

اسمح لي أولاً أيها القارئ الكريم أن أعود بك في هذا الركن إلى العنوان القديم له عنوان «ألم قلم» اعتقاداً مني -دون أن أزكي نفسي- ﴿بل الله يزكي من يشاء﴾ أن هذه الأسطر المتواضعة، هي فوق أن تكون "خواطر عابرة"، لأنها تعتصرني اعتصاراً، إنها تعبير عن هموم أمة ومجتمع وأفراد، ولاشك أن القلم الذي يسطر هذه الأسطر، يعاني نصيبه من ألم الاعتصار، قياساً -ولو بصورة مجازية- على ما يقاسيه كلّ كاتب، كيفما كان نوع الكتابة، فقط أن تكون جادة.

والآن أعودُ بك أيها القارئ الكريم إلى عنوان العمود، فلقد حدثني صديق لي فقال : «أدركني آذان المغرب بعد أن غادرت مدينة الناظور بوقت قليل، لم أنتبه قبل الخروج لأن أحمل معي شيئا من أجل الافطار ظنا مني أن أجد في طريقي ما أشتريه من أجل الإفطار حال ما يؤذّن للمغرب. لكن لم يكن الأمر على ما أتوقع؛ فلقد أدركني وقت المغرب وأنا في مناطق قروية، أوقفت سيارتي بجانب بعض الدور، صليت المغرب، التفت يمنة ويسْرة علّني أبصر مقهى أو دكانا لكن دون جدوى... وإذا أنا برجل يخرج من إحدى هذه الدور وهو يحمل إلي طعام الإفطار، ويضعه بين يدي وهو يقول مبتسما ابتسامة مفعمة بالإيمان وترضى بما قضى الله : قال : «كنت أود أن أدعوك إلى بيتي، لكني خشيت ألا تقبل بالدخول، اقْبل عْلينا، هذا الشِّي اللي اعْطى اللّه» ووضع بين يدي سبع حباتَ زيتون، وجبّانية فيها ماء أصفر لا أدري ما هو...

يقول صديقي : تأثرت بالموقف تأثراً كبيراً وشكرته كثيراً على كرمه المتميز، وبعد أن عاد أدراجه إلى بيته بدأت أفكر في هذا الموقف وأتأمل الطعام هل أتناوله استجابة لهذا الكرم النادر، أم أدعه لأن نفسي لم تتعود على هذا النوع من الطعام، لكن في الأخير قررت أن آكل، حياءً من ربي أولا، ثم رجاءَ أن ينال هذا الرجل المضياف أجر إفطار الصائم، ثم بعد ذلك عسى أن تدركني بركة طعامِ المؤمن، فآكل لأتداوى لاَ لأشبع».

طبعا لا يحتاج الحدث إلى تعليق، فهو يدل بصورة عامة على أن المغاربة الأُصلاء كرماء بطبعهم، وإن كان هذا الخُلُق الانساني قد اندثر أو كاد في المدن، بفعل عوامل متعددة فإنه مازال حاضراً في العديد من المناطق البدوية القروية، ومنها منطقة الريف في شمال المغرب، فلقد قدّم هذا الرجل الكريم المثل النادر للكرم؛ إذ لم يمنعه فقره وقلة ذات يده أن يبخل بما عنده، أو أن يتحرج من إكرام الضيف مما هو حاضر دون تكلف، فلقد دفعه الكرم المتأصل فيه أولا إلى الانتباه إلى أن غريبا عابر سبيل توقف بحثا عن طعام الافطار، ودفعه ثانيا إلى إشراكه في الطعام الذي قسمه الله له. ومن الأكيد أن هذا القرى لا يمكن أن يكون الأول من الرجل ولن يكون الأخير، بل هو ديْدَنه في كل وقت وحين. زاده الله كرماً ورزقه من حيث لا يحتسب.

ويدل الحدَث من جهة أخرى على أن شرائح مغربية واسعة تعيش على الكفاف؛ ليُقَارن كل منا مائدة إفطار هذا الرجل الكريم : حبات زيتون وماء أصفر!!! بالموائد التي تُنْصَب في العديد من البيوتات : كم من العصائر والمشروبات وكم من الحلويات والعسلات؛ وكم من المرطبات والمكسرات، وكم من المقليات والمشويات... والقائمة طويلة..

الفارق كبير والهوة واسعة، وينبغي على المسؤولين ومن ذوي الفضل من المحسنين أن ينتبهوا إلى هذه الشرائح في القرى والبوادي، الذين يبدون في نظر العديد من الناس أغنياء من التعفف لكنهم يعيشون تحت سقف الفقر بكثير.

د. عبد الرحيم بلحاج

د. مصطفى بنحمزة
رئيس المجلس العلمي بوجدة

إن هناك صراعا بين الحق والباطل، وتدافعا مستمرا بين الخير والشر، لذلك فإن الخصم لابد أن يلجأ إلى استعمال ما يمكنه من جميع الوسائل التي تؤدي إلى خدمة هدفه ومقصده هو، وفي هذا المقال سأتحدث عن نشاط جديد له غاية أخرى هذا النشاط هو نشاط حركة النفاق، هذه الحركة النفاقية قديمة طبعا وحديثة لأنها مازالت موجودة، وهي تظهر وتختفي بقدر ما يكون عليه الإسلام من قوة أو ضعف فعندما يكون المسلمون أقوياء ويكون لهم مشروع ويكونون حاضرين في الساحة فالخصم المنافق يضطر أن ينافق المسلمين وأن يمارئهم، ولكن إذا كانوا ضعفاء ومشتتين ولا يحتاج معهم الخصم إلى أن ينافقهم فإنه يجاهرهم ويواجههم دفعة واحدة، وهكذا فإن حركة النفاق تتأرجح قوة وضعفا بحسب ما يكون عليه المسلمون قوة وضعفا.

وتتركز أنشطة المنافقين في تثبيط القوة الإسلامية على جميع الأصعدة، وتشكيك المسلمين في عقيدتهم وفي مشروعهم، وفي رسالتهم، وإثقال كواهلهم ومهمتهم بكل ما من شأنه أن يصرفهم عن ذلك حتى لا ينهضوا بمشروعهم الذي هو نصرة هذا الدين.

كما يحرص أهل النفاق على تفرقة صف المسلمين وبث النعرات وتأجيج الصراعات وتقوية عوامل الفرقة بينهم لأنهم إن ظلوا مجتمعين فلا يمكن أن يصلوا إلى أهدافهم ويبلغوا رسالتهم.

وهذا الأسلوب قديم وحديث معا وله تجليات في القديم والحديث وإن اختلفت في مظاهرها.

ونظرا لما للمنافقين من خطر فقد وجه القرآن الكريم انتباه المسلمين وحذرهم من خطورة النفاق والمنافقين والمشككين والمخذلين وأمر الله تعالى المؤمنين بأن يقوموا بواجبهم فرادى وجماعات فقال سبحانه ﴿فانفروا ثبات أو انفروا جميعا وإن منكم لمن ليبطئن﴾ أي هناك داخل صفوفكم من يبطئ الناس ويخذلهم ويقعدهم ويزرع في أنفسهم الكسل والوهن ويبث فيهم الضعف والنكوص.

وكما كان هذا في عهد رسول الله ﷺ فهو لا يزال اليوم مستمرا خصوصا بعد ضعف المسلمين وتراجعهم وتمزقهم، بل إن حركة النفاق اليوم أسفرت عن وجهها بوقاحة وأبانت عن مشروعها بشراسة ووقاحة سافرة، وبدأت تعلن جهارا أنها لا تريد الإسلام، وترفض تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وتدعو صراحة إلى اعتماد القوانين الغربية، فظهرت أحزاب وتيارات ومذاهب فكرية و فنية تأخذ عن الغرب كل ما أنتجه، وترفض رفض العناد والإصرار الأخذ بمبادئ الإسلام وتعاليمه وتوجيهاته، بل تدعو إلى إنهاء وجود الإسلام وحضارته لأنه في نظرهم سبب التخلف، وأكثر من ذلك فهم يشيعون أن الإسلام هو المصدر الرئيس والسبب الحقيقي وراء التطرف والإرهاب والتعصب وقتل الأبرياء والتفجيرات والعداء للغرب لأنه دين تكفيري لا يقبل التعايش مع الآخرين، بينما أصبحت الشعوب اليوم أكثر حاجة إلى السلم والتعايش، لذلك فهم يجاهرون علانية بأن الإسلام لم يعد صالحا، ودأبوا على الاستمداد من الغرب وتنحية الإسلام والمسلمين من جميع مواقع التوجيه سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وتعليميا وقضائيا..

وتم التعاون مع الجهات الغربية لإبعاد العلماء والفقهاء عن مراكز القرار في المجتمع، وتطور الأمر إلى التضييق على الخطباء والوعاظ واتهامهم باتهامات التحريض على العنف والتدخل في شؤون السياسة وإغراق البلاد في الدماء، وأصبحت كل جريمة سياسية في التفجير لا تنسب إلا للمسلمين، ولا تتخذ إلا ذريعة للتنقيص من المسلمين والتشنيع عليهم لإبعادهم، والزيادة في تهميشهم وتشويه صورتهم محليا ودوليا، واستعداء الدول الغربية والاستجداء بها للمزيد من الضغط على المسلمين وقهرهم وفرض النموذج الغربي بالقوة وبالحيلة معا.

هذا النوع الجديد من حركة النفاق مشابه للنموذج الأول الذي عاش في عهد رسول الله ﷺ ويشتركان معا في حرب الإسلام والكيد للمسلمين وتعويق السير وتبطئته وتحريف الكلم عن بعض مواضعه والجمع بين الإسلام وغيره من المذاهب والأفكار الغربية ولو كانت متناقضة وكثير منهم يحسب من المسلمين وهو عليهم، ويدَّعون الانتماء للبلدان الإسلامية وهم أكثر ولاء للمشروع الغربي، وكلهم ينادي بالتخلي عن الإسلام ويتهم المسلمين بكونهم السبب في كل المشاكل.

كما تقوم حركة النفاق المعاصرة على انتهاج نفس الأساليب القديمة أحيانا كثيرة.

بعض أساليب المنافقين في الحرب على الإسلام:

● **تغيير الأسماء والمصطلحات الإسلامية :**

حينما جاء الإسلام جاء بمفاهيم ومصطلحات جديدة أضفى عليها دلالات جديدة واستعملها بكيفية مغايرة وطالب المسلمين باستعمالها على الوجه الجديد حتى لا يعيش المسلم الزمن الإسلامي بعقلية جاهلية ماضية، وحتى تكون لغة المسلم منسجمة مع فكره.

وقد ذكر العلماء أن كثيرا من ألفاظ اللغة ما كان لها وجود قبل مجيء الإسلام ولولا مجيئه لما صارت لها تلك القوة الدلالية والشرعية مثل ألفاظ الصلاة والصوم والزكاة والحج والإفلاس ...

وأكثر من هذا فقد أمر الله عز وجل المؤمنين أن يستعملوا ألفاظا دون أخرى ونهاهم عن استعمال ألفاظ معينة مثل قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا﴾(سورة البقرة).

● **تغيير اسم المدينة يثرب :**

فقد ثبت في القرآن الكريم والسيرة النبوية أن الرسول لما هاجر إلى يثرب سماها باسم طابة أو طيبة وسماها القرآن الكريم باسم "المدينة" وهو أسم يدل على معنى شريف، معنى الوحدة والاجتماع والتساكن والتعايش والحضارة، وشاع استعمال هذا الاسم من لدن المسلمين والكفار والمنافقين، ونهى الرسول بأن تسمى بيثرب من جديد؛ لكنه في غزوة الأحزاب حينما ضن المنافقون أن المسلمين قد انهزموا وجدوا في أنفسهم الفرصة سانحة لتغيير اسم المدينة من جديد والعودة إلى الاسم القديم "يثرب" فقالوا: ﴿يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا﴾.

فتخصيص الخطاب بأهل يثرب فيه دلالة عل النزعة القبلية وسكانها الأوائل قبل مجيء الإسلام وهي نزعة ذمها الإسلام ونهى عن الدعوة إليها لذلك كان خطاب القرآن دوما ب"يا أيها الذين آمنوا" و"يا أيها الناس" حرصا على الوحدة والجمع والتأليف بين الناس وابتعادا عن كل ما يفرق بين بني آدم .

● **تغيير أسمي المشرق والمغرب:**

وفي وقتنا الحاضر نجد حركة النفاق هي نفسها تركز على هذه الوسيلة وتنهج هذا السبيل سبيل تغيير الأسماء بما يعطيها شحنات دلالية قوية على العنصرية والطائفية والقبلية والحزبية الضيقة لتزيد المسلمين تفرقة وتشتيتا وتشغلهم بمعارك داخلية قاتلة ومن ذلك لفظ المشرق والمغرب اللذين ورد استعمالهما في القرآن الكريم والسنة للتوكيد على وحدة الأمة وأن أمة المسلمين واحدة فكرا ودينا ومكانا.

وقد التزم المسلمون باستعمال هذا المصطلح طيلة مسيرة حضارتهم لكنه في الوقت الحاضر وبعد دخول المستعمر ووجود من يناصره من المنافقين الجدد تم تغيير هذه الأسماء بأسماء جديدة تدل على التفرقة والقطرية المقيتة مثل: شمال إفريقيا أو دول المغرب والجزائر وتونس أو الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، كما تم تغيير اسم المشرق باسم الشرق الأوسط، ودول الخليج، ووسط آسيا ...

● **تغيير ألفاظ التحية الإسلامية:**

ومن الأسماء الشرعية التي حرصت حركة النفاق المعاصرة على محوها وتغييرها التحية الإسلامية التي هي تحية الله والملائكة الأطهار والأنبياء والمرسلين والصالحين وهي أيضا تحية أهل الجنة، فقد تم تغيير ألفاظ هذه التحية بألفاظ جديدة وهي "صباح الخير" و"مساء الخير" وفي الكتب المدرسية التعليمية لا تكاد تجد إلا هذه الألفاظ الجديدة تدرس للناشئة حتى يشبوا على استعمالها وينسوا ألفاظ التحية الإسلامية وتصبح غريبة ومهجورة وميتة، وتصبح ناشئتنا وأجيالنا أيضا غريبة عن بيئتها الإسلامية بل ومعادية لها، وبذلك يحصل للمنافقين الجدد مرادهم ويتحقق قصدهم الخبيث في اجتثاث الإسلام وفصل الأمة عن جذورها وهويتها.

● **تغيير أسماء وصفات أخلاقية ذميمة باخرى براقة:**

كما نجد هذه الحركة النفاقية الجديدة سايرت الغرب في تغيير مصطلحات شرعية إسلامية بمصطلحات جديدة فعري المرأة والزنا والشذوذ الجنسي صار حرية وتحررا، والإساءة للدين وللرسول والردة صارت حرية تعبير، ومن حقوق الإنسان، والتفرقة القومية، والعصبية القبلية الجاهلية صارت أيضا حقّ الشعوب في تقرير مصيرها...

المقصود هنا أن هذه التسميات الجديدة البديلة عن التسميات الإسلامية ليست بريئة ولا تخلو من نوايا سيئة لإخفاء التعابير والتسميات الإسلامية، لذلك لا ينبغي التساهل فيها والتجاوز عن ذلك.

ولابد من عودة الأمة إلى أصلها واستعمال رصيدها اللغوي الشرعي النبيل في معانيه والشريف في مقاصده، فما أمر الشرع باستعماله وأرشد إليه فلا ينبغي إهماله، والعكس صحيح.

كما لجأت هذه الحركة إلى التذرع بالفكر الغربي ونظرياته في العلوم الإنسانية والاجتماعية لدراسة الأمة المسلمة بدعوى الكشف عن الجذور الحقيقية لثقافة هذه الشعوب المكونة لهذه الأمة فاتجهوا إلى دراسة العادات والتقاليد والفلكلور وطقوس السّحر والشعوذة والحكايات الشعبية والجنس ليبينوا من خلال ذلك أن الثقافة الحقيقية لهذه الشعوب ليس الإسلام وإنما هو هذه العادات والتقاليد والممارسات الفردية والاجتماعية التي تتجلى في السلوك اليومي للفرد المسلم بكيفية لاشعورية (اللاشعور الفردي) وفي حركة المجتمع وتنظيماته (اللاشعور الجمعي) كما يسميه علماء النفس وعلماء الاجتماع.

وأكثر من هذا فهم يتغافلون عن القيم الإسلامية المتجذرة في كيان الأفراد والأمة والقبيلة والمجتمع، كقيم التضامن والتعاون (اتويزة مثلا) والتكافل (كفالة اليتيم)، ومحبة العلم وأهله وخدمة ورعاية مؤسسات العلم والتعليم وكفالة الطلبة وتقديم العلماء والفقهاء في شؤون المجتمع وحل المشاكل والنزاعات...كما يغفلون عن عادات وأخلاق إسلامية لا تزال الأسر المغربية تحافظ عليها وتذود عنها مثل عادات الزواج وعدم الاختلاط والعفة والحياء والكرامة والكرم والاحترام المتبادل..

● **إحياء الوثنيات القديمة:**

كما نجد المنافقين الجدد يدأبون ليلا ونهار اويتعاونون مع أطراف خارجية من أجل إحياء وثنيات قديمة يونانية ورومانية وآشورية وبابلية وهندية... وإعادة إحياء استعمال أسماء قديمة كأسماء آلهة اليونان الدالة على قيم الشرك "إله أبولو" وبدأنا نرى البعض يضني نفسه لاستعمال هذه الأسماء القديمة في أدبه قصةً وروايةً ومسرحيةً وشعراً، وأصبح معيار الشعر وفضيلة الشعراء والأدباء هو مدى استعمالهم لهذه التسميات الغريبة، وأصبح معيار القبول في اتحادات الكتاب، وإحراز الألقاب الأدبية والثقافية هو حجم تداول الكاتب لهذه الأسماء الوثنية اليونانية أو الرومانية أو الروسية ...وحتى يقال عنه إنه مثقف محيط بالثقافة العالمية ومنفتح على الحضارات والثقافات.

ومن أجل هذا وجب التذكير بأن الوحي القرآني والهدي النبوي كانا حريصين على تثبيت دعائم هوية الأمة في لغتها وفي رموزها وأصالتها الفكرية والعقدية ومعقولية رسالتها الحضارية ونقاء أهدافها وحذرنا من مخططات المنافقين وأساليبهم التي تتنوع وتختلف بحسب العصور دون أن تختلف في جوهرها ومضمونها وهدفها التي تستهدفه تشويه صورة الإسلام والمسلمين، وتشتيت صفهم وتفريق كلمتهم، ومسخ هويتهم والحرص على ذلك كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا مع العلم أن قوة النفاق تزداد قوة كلما ازداد المسلمون ضعفا لكن عندما يتقوى المسلمون يتقهقر المنافقون ويتراجعون إلى الوراء يتحينون الفرصة المواتية للتدخل ويتصيدون المناسبات والوسائل الكفيلة بإنجاح خططهم، كما أن المنافقين في حال ضعف المسلمين يجهرون بعدائهم ومخططاتهم، وفي حال قوة المسلمين يعملون في الخفاء وتحت شعارات براقة ومخادعة.

والخلاصة أن النفاق مازال حاضرا وبقوة ولكنه اليوم يتخذ أغطية ووجوها متعددة وأقنعة ملونة ومظاهر متعددة في الأدب (القصة والأقصوصة والرواية والشعر والرسم والسينما...) والإعلام والتعليم والسياسة والاقتصاد والقضاء والقانون ... ويتوسل بأساليب بعضها ظاهر جلي لا تخطئه العين وبعضها باطن خفي تنطلي حيلته على كثير من الأذكياء.

5 تفسير سورة المنافقون

بعض أساليب المنافقين في الحرب على الإسلام قديما وحديثا

26 رمضان 1430هـ - 16 شتنبر 2009 م- العدد : 324

هجرة الرسول ﷺ

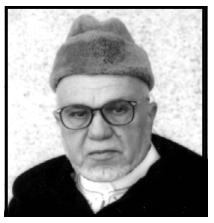

ذ. المفضل فلواتي

وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤذن له في الهجرة، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حُبِسَ أو فُتِنَ، إلا عليّ بن أبي طالب، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق رضي الله عنهما، وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فيقول له رسول الله ﷺ : لا تَعْجَلْ لعلَّ الله يجعل لك صاحبا، فيطمع أبو بكر أن يكونه.

1) اجتماع الملأ من قريش، وتشاورهم في أمر الرسول ﷺ :

ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شيعةٌ وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوْا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً، وأصابوا منهم مَنَعة، فَحَذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم، وعرفوا أنَّهُ قد أجمع لحربهم. فاجتمعوا له في دار الندوة – وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريشٌ لا تقضى أمرًا إلا فيها– يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ، حين خافوه.

قال ابن إسحاق بسنده: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما أجمعوا لذلك، واتَّعَدُوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أَمْرِ رسول الله ﷺ، غَدَوْا في اليوم الذي اتَّعدوا له، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الرَّحْمة، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل(1)، عليه بَتْلَة(2)، فوقف على باب الدار، فلما رَأَوْه واقفًا على بابها، قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخٌ من أَهْلِ نجد(3) سمع بالذي اتَّعَدتُّمْ له، فَحضرَ معكم ليسمع ما تقولون، وعسى أن لا يُعْدمَكُمْ منْهُ رأيًا ونصحًا، قالوا: أجَل، فادخُلْ، فَدخَلَ معهم، وقد اجتمع فيها أشراف قريش؛ من بني عبد شمس: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب. ومن بني نوفل بن عبد مناف: طُعَيْمَة بن عدي، وجُبَيْر بن مطعم، والحارث بن عامر بن نوفل. ومن بني عبد الدار بن قصيّ: النضر بن الحارث بن كلدة. ومن بني أسد بن عبد العزى: أبو البختريّ بن هشام، وزمعة بن الأسود بن المطلب، وحكيم بن حزام. ومن بني مخزوم: أبو جهل بن هشام. ومن بني سهم: نبيه ومنبه ابنا الحجاج، ومن بني جمح: أمية بن خلف، ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يُعَدُّ من قريش.

فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإنا والله ما نَأْمَنُه على الوثوب علينا فيمن قد اتَّبعه من غيرنا، فَأَجْمِعوا فيه رأيًا.

فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه بابا، ثم تربَّصُوا به ما أصاب أشباهَه من الشعراء الذين كانوا قبله، زهيراً والنابغةَ، ومن مضى منهم، من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم(4)، فقال الشيخ النجديّ: لا والله، ما هَذَا لَكُمْ برَأْي. والله لئن حبستموه كما تقولون ليَخرجَنَّ أمرُه من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأَوْشَكوا أن يثبوا عليكم، فينزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به، حتى يغلبوكم على أمركم، ما هَذَا لَكُمْ برأي، فانظروا في غيره، فتشاوروا.

ثم قال قائل منهم: نخرجُه من بين أظهرنا، فَنَنْفيه من بلادنا، فإذا أخرج عَنَّا فوالله ما نُبالي أين ذهب، ولا حيثُ وقَع، إذا غاب عنا وفَرَغْنا منه، فَأَصْلَحْنَا أمرنا وأُلْفَتَنا كما كانت(5). فقال الشيخ النجديّ: لا والله، ما هذا لكم برأي، ألم تَرَوْا حُسْنَ حديثه، وحلاوة منطقه، وغَلَبَتَه على قلوب الرِّجال بما يأتي به، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحلَّ على حَيّ من العرب، فَيَغْلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطَأَكم بهم في بلادكم، فيأخذ أمْرَكم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، دبِّروا فيه رَأْيًا غير هذا. قال: فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه لَرَأْيا مَا أَرَاكُمْ وَقَعْتُمْ عليه بعدُ؛ قالوا: وما هو يا أبا الحكَم؟ قال: أرى أن نأخُذَ من كل قبيلة فتىً شابًّا جليداً نسيبًا وسيطا(6) فينا ثم نُعطي كُلَّ فتًى منهم سيفًا صارماً، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربةَ رَجُل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه. فإنهم إذا فعلوا ذلك تفَرَّق دمُه في القبائل جميعا، فلم يقدرْ بنو عبد مناف على حَرْبِ قومهم جميعا، فَرَضُوا منَّا بالعَقْل، فَعَقَلْنَاه لَهُمْ(7).

فقال الشيخ النجديّ، القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا رَأْيَ غيره، فتفرق القوم على ذلك وهم مُجْمِعون له.

فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ، فقال: لاتبتْ هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيتُ عليه. فلما كانت عَتْمَةٌ من الليل اجتمعوا على بابه يرصُدونه متى ينام، فيثبون عليه؛ فلما رأى رسول الله ﷺ مكانَهُم، قال لعليّ بن أبي طالب: نَمْ على فراشي وتَسَجَّ(8) ببُرْدي هَذَا الحَضْرَميّ الأخضر، فَنَمْ فيه، فإنه لن يَخْلُص إليك شيءٌ تكرهُه منهم، وكان رسول الله ﷺ ينام في بُرْده ذلك إذا نَامَ.

قال ابن إسحاق بسنده أنَّ أبا جهل بن هشام، قال وهم على بابه: إن محمداً يزْعُم أنَّكم إنْ تَابَعْتُمُوه على أمره، كُنْتُمْ ملوك العَرَب والعَجَم، ثم بُعِثْتُم من بعد مَوْتكم، فَجُعِلَتْ لكم جِنَانٌ كَجِنان الأُرْدُن، وإنْ لم تفعلوا كان لَهُ فيكُم ذبحٌ، ثم بُعثتم من بعد موتكم، ثم جُعِلَتْ لَكُم نَارٌ تُحْرَقون فيها(9).

قال: وخرجَ عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ حَفْنَةً من تُراب في يده، ثم قال:«أنا أقول ذلك، أنت أحدهم»(10). وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه، فلا يَرَوْنَه، فجعل ينثُر ذلك الترابَ على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس: ﴿يس والقُرْآنِ الحَكِيم. إنَّكَ لمن المرسلين. على صراط مستقيم. تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يومنون إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا إلى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سُدًّا ومن خلفهم سُدًّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾(يس 1– 8)، حتى فرغ رسول الله ﷺ من هذه الآيات، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آت ممَّن لَمْ يكُن معهم، فقال: ما تَنْتظرون هَاهُنا؟ قالوا: محمدا؛ قال: خَيَّبَكم الله! قد والله خرَجَ عليكم محمد، ثم ما تَرَك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يَدَه على رأسه، فإذا عليه ترابٌ، ثم جعلوا يتطلَّعون فيَرَوْن علياً على الفراش مُتَشَجِّيًا ببُرْد رسول الله ﷺ، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائما، عليه بُرْدُه. فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا(11) فقام عليّ رضي الله عنه عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صَدَقَنا الذي حَدَّثَنَا.

قال ابن إسحاق: وكان مما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك اليوم، وما كانوا أجمعوا له: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين﴾(الأنفال 30). وقول الله عز وجل: ﴿أم يقولون شَاعِرٌ نتربَّصُ به رَيْبَ المَنُون. قل تَرَبَّصُوا فإني معكم من المتربصين﴾(الطور : 30– 31).

قال ابن إسحاق: وأذن الله تعالى لنبيه ﷺ عند ذلك في الهجرة.

وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلا ذا مال، فكان حين استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فقال له لا تَعْجَلْ لَعَلَّ الله يَجْعَلُ لك صاحبا، قد طَمِعَ بأن يكون رسول الله ﷺ، إنما يعني نفسه، حين قال له ذلك، فابتاع راحلتين، فاحتبسهما في داره، يعلفهما إعداداً لذلك.

قال ابن إسحاق: بسنده عن عائشة أمّ المؤمنين أنها قالت: كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بَيْتَ أبي بكر أَحَدَ طَرَفَي النهار، إما بُكرة، وإما عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أَذِنَ الله فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة، والخروج من مكة من بين ظَهْرَيْ قَوْمه، أتانا رسولُ الله ﷺ بالهاجرة، في سَاعة كان لا يأتي فيها. قالت: فلما رآه أبو بكر، قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمْر حَدَثَ. قالتْ: فَلَمَّا دخل، تأخّر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: «أَخْرِج عني من عِنْدَك»؛ فقال: يا رسول الله، إنما هما ابنتايَ(12)، وما ذاك؟ فدَاك أبي وأمي! فقال: "إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة". قالت: فقال أبو بكر: الصُّحْبَةَ يا رسول الله؛ قال: "الصحبة". قالت: فوالله ما شعرتُ قَطُّ قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يَبْكِي يومئذ، ثم قال: يا نبي الله، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتُهُما لهذا. فاستأجَرَا عَبْدَ الله بن أريقط –وكان مشركا– يَدُلُّهُمَا على الطريق، فدفعا إليه راحلتيْهِما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما.

قال ابن إسحاق: ولم يعلم فيما بلغني، بخروج رسول الله ﷺ أحدٌ، حين خرج، إلا عليّ بن أبي طالب، وأبو بكر الصّديق، وآل بكر. أما علي فإن رسول الله ﷺ– فيما بلغني– أَخْبَره بخروجه، وأَمَرَهُ أن يتخلّف بعده بمكَّة، حتى يؤدّيَ عن رسول الله ﷺ الودائع، التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحدٌ عنده شيءٌ يَخْشَى عليه إلا وَضَعَهُ عِنْدَه، لِمَا يَعْلَمُ من صدقه وأمانته ﷺ.

قال ابن إسحاق: فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج، أتى أبا بكر ابن أبي قُحافة، فخرجا من خَوْخَة لأبي بكر في ظَهْر بَيْته، ثم عَمدا إلى غار ثور –جبل بأسفل مَكَّة– فدخلاه، وأمر أبو بكر ابنَه عبدَ الله ابن أبي بكر أن يتسمَّع لهما ما يقولُ الناس فيهما نهارَه، ثم يأتيهما إذا أمْسى بما يكون في ذلك اليوم من الخَبَر؛ وأَمَرَ عَامرَ بْن فُهَيرة مَوْلاه أَنْ يَرْعَى غنمه نهارَه، ثم يُريحُها عليهما، يأتيهما إذا أمسى في الغار. وكانت أَسْمَاءُ بِنْتُ أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما.

قال ابن هشام بسنده : انتهى رسولُ الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلا، فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله ﷺ، فَلَمَسَ الغار، لينظر أفيه سَبُعٌ أو حيّة، ليَقِيَ رَسُولُ الله ﷺ بِنَفْسِه.

ذكر قاسم بن ثابت في الدلائل أن رسول الله ﷺ لما دخله وأبو بكر أنبت الله على بابه الرَّاءة وهي من أَغْلاث الشجر، وتكون مثل قامة الإنسان، ولها خيطان، وزَهْرٌ أبيض تُحشى به المخادُّ، فيكون كالريش لخفته ولينه، لأنه كالقطن، أنبتها الله لتحجب أعين الكفار عن الغار.

وفي مسند البزار : أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار، وأرسل حمامتين وَحْشيتين فوقعتا على وجه الغار.

وفي الصحيح أن أبا بكر قال للرسول ﷺ وهما بالغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدمه لرآنا، فقال له ﷺ "ما ظنك باثنين الله ثالثهما"

وقال له: "لا تحزن إن الله معنا"، وقيل إن حزن أبي بكر كان عندما رأى بعض الكفار يبول عند الغار، فأشفق أن يكونوا قد رأوهما، فقال له النبي ﷺ: «لا تحزن، فإنهم لو رأونا لم يستقبلونا بفروجهم عند البول، ولا تشاغلوا بشيء عن أخذنا»(13).

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثا ومعه أبو بكر وجعلت قُريش فيه حين فَقَدوه مئَةَ نَاقة، لمن يردُّه عليهم. وكان عبدُ الله بن أبي بكر يكون في قريش نهَارَه معهم، يسمع ما يأتمرون به، وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبي بكر، ثم يأْتيهما إذا أمسى فيُخْبِرُهُمَا الخبر. وكان عامر بن فُهيرة، مولى أبي بكر رضي الله عنه، يرعى في رُعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر، فاحتلبا وذبحا، فإذا عبدُ الله بن أبي بكر غدا من عندهما إلى مكة، اتَّبَعَ عامرُ بن فهيرة أَثَرَهُ بالغنم حتى يُعَفِّيَ عليه، حتى إذا مَضَت الثلاثُ، وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببعيريْهما وبَعير له، وأَتَتْهما أسماءُ بنت أبي بكر رضي الله عنهما بسُفْرتهما، ونَسيَتْ أن تجعل لهما عصَامًا فلما ارْتَحَلا ذهَبَتْ لتعلّق السُّفرة، فإذا ليس لها عصام(14)، فتحلُّ نطاقها فتَجْعله عصاما، ثم علَّقَتْها به.

فكان يُقال لأسماء بنت أبي بكر: ذات النِّطاق، لذلك.

قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول: ذات النطاقين. وتفسيره: أنها لما أرادت أن تعلّق السفرة شَقَّتْ نطاقها باثنين، فعلقت السُّفرة بواحد، وانتطقت بالآخر.

---

1 – جليل، أي حسن؛ يقال: جَلَّ الرجل، وجلت المراة: إذا أسَنَّتْ.

2 – بتلة: البتلة كساء غليظ، وورد في بعض النسخ عليه بتٌّ: والبت: ضربٌ من الطيالسة يسمى الساج يلبسه أصحاب الهيئة والجاه.

3 – قال السهيلي... وإنما قال لهم: إني من أهل نجد، فيما ذكر بعض أهل السيرة، لأنهم قالوا لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة، لأن هواهم مع محمد؛ فلذلك تمثل لهم في صورة شيخ نجدي. وقد ذُكر في خبر بنيان الكعبة أنه تمثل في صورة شيخ نجدي أيضا، حين حكَّمُوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر الركن من يرفعه، فصاح الشيخ النجدي: يا معشر قريش، أقد رضيتم أن يليه هذا الغلام دون أشرافكم وذوي أسنانكم؟ فإن صَحَّ هذا الخبر فلمعنى آخر تمثل نجدياً، وذلك أن نجدا منها يطلعُ قَرْنُ الشيطان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قيل له: وفي نجدنا يا رسول الله قال: هناك الزلازلُ والفتن، ومنها يطلع قرنُ الشيطان. فلم يبارك عليها كما بارك على اليمن والشام وغيرها انظر الروض الأنف 2/229.

4 – كان صاحب هذا الرأي والمشير به أبا البختري بن هشام.

5 – صاحب هذا الرأي أبو الأسود ربيعة بن عامر، أحد بني عامر بن لؤى.

6 – الوسيط: الشريف في قومه.

7 – فعقلناه لهم: اشتركنا جميعا في إعْطاء ديته.

8 – تسجى بالثوب غطى به جسده ووجهه.

9 – العجب من أمر أعداء الإسلام قديما وحديثا أنهم يفهمون وعدَ الإسلام ووعيده، ومع ذلك يعاندون، ولذلك تقام الحجة حقا وصدقا.

10 – قول الرسول ﷺ يعتبر تحديا للمعاندين بالحق.

11 – قال السيهلي: "وذكر بعض أهل التفسير السبب المانع لهم من التقحُّم عليه في الدار مع قصر الجدار، وأنهم إنما جاءوا لقتله، فذكر في الخبر أنهم هموا بالولوج عليه، فصاحت امرأة من الدار، فقال بعضهم لبعض: والله إنها للسُّبة في العرب أن يُتَحَدَّث عنا أنا تَسَوَّرْنا الحيطان على بنات العم، وهتْكنا ستر حُرْمتنا، فهذا هو الذي أقامهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه، ثم طمست أبصارهم على من خرج".

12– في جامع البخاري: "إنما هم أهلك". وقد كان أبو بكر أنكح عائشة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك.

13– انظر روض الأنف 2/232.

14– العصام: الحبل أو شبهه يشد على فم المزادة ونحوها ليحفظ باقيها أو تعلق منها في وتد ونحوه.

روعة الانتساب التعبدي 1

د. فريد الأنصاري

العبادة، هي عنوان الجمال في الإسلام، وشعار المحبة. وإذا أحب الله الإنسان خاطبه بلفظ "عبدي" أو "عبادي".. فنسبه إليه تعالى نسبة خصوص وإضافة.

والعبودية دالة على خضوع وانقياد، في غير سخط ولا إكراه، ولكنه خضوع المحب الرَّضِيِّ. ومن هنا لم تكن الأعمال لترتقي إلى مستوى العبادة حقيقة إلا إذا أدّاها العبد برضاه.. ولو كانت هذه الأعمال من أركان الإسلام، من صلاة وصيام وزكاة وحج. وقد ذكر العلماء أن الغني إذا امتنع عن أداء الزكاة، فقوَّمَ السلطان عليه ماله وانتزع منه مقاديرها وصرفها في وجوهها، فإن ذلك يسقط عنه حقوق المستحقين، ولا يكلف بإعادة إخراجها بعد، ولكنه لا يسقط عنه حق الله؛ لأن حق الله في العمل إنما هو الشعور بالتعبد. وهو معنى الرضى والمحبة الذي يُخالط قلب العامل عند الدخول في عمله. ومن هنا كانت حقيقة العبادة شعورا وجدانيا قبل أن تكون أعمالا مادية، وكانت إحساسا بحب من يوجه إليه العمل وهو الله تعالى، لا "ضريبة" يؤديها المرء وهو كاره.

رغبة لا رهبة

إن العبادة "رغبة" قبل أن تكون "رهبة"، ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(البقرة:256)؛ أما "الخوف" المذكور مع "الرجاء" في سياق التعبد فله مدلول آخر. ومن هنا كان وصف الإنسان بأنه "عبد" من أحب الأسماء والصفات الإيمانية إلى الله، ومن أحسنها في تسمية الإنسان، كما ورد في قول الرسول ﷺ: «إن أحب أسمائكم عند الله: عبد الله، وعبد الرحمن»(رواه مسلم)؛ وذلك لأن هذين الاسمين فيهما نسبة العبد إلى اسم الجلالة "الله"، وإلى أعظم صفة لله عز وجل "الرحمن": ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾(الإسراء:110). وفي ذلك ما فيه من شرف الانتساب التعبدي لله الواحد القهار.

وبهذا المعنى استُعْمِلَ مصطلح "الانتساب الإيماني" أو "التَعبدي" في الفكر الإسلامي؛ للدلالة على خصوص استناد العبد إلى الله في كل أمره، وما يجده في ذلك من أذواق وجمال.

ولعل الأستاذ بديع الزمان النورسي -رحمه الله- هو أول من استعمله بهذا الوضوح الاصطلاحي، في سياق تجديد الفكر التربوي الإسلامي؛ إذْ كَشَفَ النقاب بقوة عن مشاهده الجميلة، فرسم بذلك لوحة وجدانية خالدة، كلما طالعتَ أنوارَها تَدَفَّقَتْ بالأسرار. ذلك أن المسلم عند النورسي لم يعد -باعتباره عبدا لله- مجردَ اسْمٍ عَلَمٍ يُنادَى، أي: "عبد الله" أو "عبد الرحمن"، وإنما هو صاحب وظيفة مستنبطة من التفكر الخفي، والتدبر المُلِيِّ لطبيعة العلاقة بين المضاف والمضاف إليه، في اسم "عبد الله" الذي هو اسم وظيفي -لا عَلَمِي- لكل مسلم حق. إن الإضافة النحوية لها دلالة عظيمة، على مستوى المعاني بالقصد البلاغي والإيماني معا؛ أعني من حيث إنها تفيد اختصاص المضاف إليه بالمضاف، وتفرده به، على سبيل "الامتلاك". وكذا اختصاص المضاف بالمضاف إليه، على سبيل "الاستناد" و"الانتماء".

علاقة النسبي بالمطلق

وهنا تكمن خطورة المصطلح "الانتساب"؛ لأنه تصوير لعلاقة المطلق بالنسبي وما يكتسبه هذا من ذاك. فعلاوة على دقة العلاقة بين مفهومين لا يجمعهما في المنطق إلا معنى التضاد؛ بينما هما هنا يلتقيان في المعنى الإسلامي، في التناسب الجميل المستفاد من علاقة العبادة، وما تحمله من ظلال روحية هادئة. علاوة على ذلك كله فإن المصطلح المدروس يصور بأدقّ ما يكون التصوير الرقي الإنساني، في مدارج الإيمان، حتى يكون أهلا لمقام العطف الرباني والتضييف الرحماني.

وإني لأحسب أن تجديد التدين في المجتمع الإسلامي، لو أنه سعى هذا المسعى القائم على تحقيق معنى "العبودية"، حيث كانت الإضافة فيها إلى الرحمن نقطة استناد؛ لكان له اليوم شأن آخر؛ إذ يمنح العبد معنى القوة والمنعة والحياة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾(الإسراء:65). فـ"ياء" الضمير (المضاف إليه) الدال على الذات الإلهية، يخص المضاف (عباد) بخصوص "الانتساب" الذي يكتسب منه "العبد" شرف النسبة إلى الملك العظيم رب السموات والأرض. فذلك ما عبّر عنه الأستاذ النورسي بـ"الانتساب الإيماني"، كما في قوله يخاطب المؤمن: "إنك تنتسب بهوية الانتساب الإيماني إلى سلطان عظيم ذي قدرة مطلقة"(1).

الانتسابية

وبهذا المعنى فسَّرَ رحمه الله سرَّ بدء الأعمال كلها في الإسلام بـ"بسم الله الرحمن الرحيم". يقول: "إن الذي يتحرك ويسكن، ويصبح ويمشي بهذه الكلمة "بسم الله" كمن انخرط في الجندية، يتصرف باسم الدولة، ولا يخاف أحدا، حيث إنه يتكلم باسم القانون، وباسم الدولة، فينجز الأعمال ويثبت أمام كل شيء"(2).. فهذا التشبيه البليغ مقصود للدلالة على الطبيعة الوظيفية، للخدمة التعبدية التي بها فقط ينال المسلم شرف الانتساب الإيماني، ذلك أنه -كما يقول رحمه الله- "يرقى إلى مقام الضيف الكريم في هذا الكون، وإلى مقام الموظف المرموق فيه، رغم أنه ضئيل وصغير بل هو معدوم، وذلك بسموّه إلى مرتبة خطاب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: انتسابه لمالك يوم الدين، ولسلطان الأزل والأبد"(3).

ومن هنا كان الإيمانُ المُبَلِّغُ إلى مقام الانتساب انخراطًا وظيفيًّا في حركة الجمال، حيث عمل النورسي على تحسيس طلاّبه بالذوق الانتمائي للإسلام، وتجديد مفهوم الصفة الإسلامية التي أبْلتْها العادات الاجتماعية، وطمستها الظلمات الإلحادية الزاحفة(4).

ثم إن الناظر في النصوص الشرعية المتضمنة لمفهوم "الانتساب" في القرآن الكريم والسنة النبوية، يجد أن لله عز وجل في مناداة الإنسان وتسميته باعتبار "النسبة" ثلاثة أحوال: الأولى أن ينسبه إلى جِبِلَّته وطبيعته الخلقية، فيسمّيه "الإنسان". والثانية أن ينَسبه إلى أبيه؛ فيسمّيه "ابن آدم" و"بني آدم". والثالثة أن ينسبه إليه تعالى فيسمّيه "عبدا"، أو "عبدي" أو "عبادي". ووحدها هذه النسبة الأخيرة تكون في سياق المحبة الإلهية العالية للعباد. فلا يذكر الإنسان بوصفة عبدا إلا للدلالة على حب الله له؛ إذ العبودية محبة متبادلة بين الرب الأعلى والمخلوق الأدنى.

لماذا "الإنسان"؟

ولبيان تفرد وصف الناس "بالعباد" بمعاني المحبة والتقريب، نذكر خلاصة مركزة عن كل من التسمية "بالإنسان"، والمناداة بـ"بني آدم": ففي الأولى يسمي الله الإنسان "إنسانا" في سياق الابتلاء، وتحميله المسؤولية والأمانة. وهي عبارة ذات وقع حيادي على نفس المتلقي والقارئ للقرآن. ولذلك كانت أوضح الآيات في هذا المعنى قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾(الأحزاب:72). فبقيت عبارة "الإنسان" في القرآن محملة بهذه الدلالة، ومشحونة بهذا الإيحاء. إنه إذن صاحب أمانة؛ أمانة تكليف واستخلاف. ولا أمانة إلا وهي تلقي على صاحبها تبعات كبرى، أقلّ ما فيها المتابعة والمحاسبة.

ومن هنا كان بتحمله الأمانة ظلوما لنفسه، جهولا بخطورة ما تحمل وتقلد. فكان الحكم الابتدائي عليه بالخسران، لأنه راهن على شيء أكبر من حجمه؛ فلا ينجو من حيث هو "إنسان" إلا على سبيل الاستثناء ﴿وَالْعَصْرِ × إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ × إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾(العصر:3-1). وهو استثناء ثقيل يحمل -بعد الإيمان والعمل الصالح- شروطا ثقيلة: التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وتلك هي خلاصة الأمانة. فالإنسان إذن مخلوق مغلول إلى التزامه، مرتهن بقضيته ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾(الإسراء:13)، ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾(القيامة:36). بل هو ملزم بالسير الدائم إلى ربه، سير تتخله المشاق والصعاب؛ لأنه يشق طريقا تخالف ما تشتهيه نفسه البشرية، من دَعَةٍ وملذات دنيوية ورغبات حيوانية؛ ولذلك عبر الله عز وجل عن هذا المعنى بـ"الكدح"، وفي ذلك ما فيه من الإيحاء بمشقة السير،

إني لأحسب أن تجديد التدين في المجتمع الإسلامي، لو أنه سعى هذا المسعى القائم على تحقيق معنى "العبودية"، حيث كانت الإضافة فيها إلى الرحمن نقطة استناد؛ لكان له اليوم شأن آخر؛ إذ يمنح العبد معنى القوة والمنعة والحياة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾(الإسراء:65).

ووعورة الطريق؛ قال سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾(الانشقاق:6).

ولم يكن ابتلاء الإنسان مهددا بالخسران؛ إلا لأنه ارتبط ابتلاؤه هذا بطبيعته الطينية، التي تشده إلى الأرض وإلى علائق التراب، بينما غاية "ابتلائه" أن يرتقي إلى السماء. فأعظم به من امتحان عسير، قال عز وجل: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾الإنسان:2). فكانت الآيات بمساقاتها تشير إلى أنه كلما انْقَضَّتْ عليه طبيعته الطينية، استجاب لأهوائه وشهواته.

ولذلك كانت له في القرآن الكريم – بهذا الاعتبار– صفات وأحوال كلها تدور حول هذا المعنى، يقول عز وجل ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(إبراهيم:34)(5). إنها إذن؛ صفات مرتبطة بالخلق والطبيعة الجبلية، ولذا كان التعبير عنها في كثير من الآيات بلفظ ﴿كَانَ﴾ للدلالة على الثبات والاستمرار كما في التعبير بها عن صفات الله عز وجل في القرآن، وذلك نحو: ﴿وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولًا﴾(الإسراء:11)(6).

هذا هو الإنسان! تعبير لا يوحي بالأنس والطمأنينة والسلام وإنما يوحي بالتكليف والحساب!

---

(1) اللمعات لسعيد النورْسي، ص 388؛ وانظر: الشعاعات لسعيد النورْسي، ص13.
(2) الكلمات لسعيد النورسي، ص6 ñ 7؛ وانظر: اللمعات لسعيد النورْسي،ص278.
(3) الكلمات لسعيد النورْسي، 45/1.
(4) نقلا عن كتابنا "مفاتح النور" بتصرف يسير. ص-279 283.
(5) وانظر: النحل:4؛ المعارج:21-19.
(6) وانظر: الإسراء:67، 100.

رمضان وبعثة حضارة القرآن

ذ. يونس اليماني

اصطفى الله عز وجل شهر رمضان واختاره من بين شهور السنة ليشرف بأعظم حدث عرفه التاريخ البشري على الإطلاق؛ إذ في رمضان تحول مسار هذا التاريخ ومجراه؛ وانعطفت وجهته إلى قبلة أخرى؛ واصطبغ الكون كله –خلاله– بصبغة جديدة تمتح سماتها وخصائها من شمولية التدبير الإلهي للعالمين وتصرفه الكلي والمطلق في الأرض والسماء ومابينهما؛ حيث خوطبت الإنسانية كافة بكلمة واحدة شاملة ليس فيها تخصيص لقوم دون آخرين؛ أوعصر دون آخر؛ أومصر دون غيره.

هذا الحدث العظيم الذي شرف شهر رمضان به هوحدث نزول القرآن في أعظم مراحله أي من بيت العزة إلى السماء الدنيا ليتنزل منها إلى قلب رسول الله ﷺ بواسطة الروح الأمين جبريل عليه السلام.. أي أن رمضان هوالمجال الزمني الأول لبعثة حضارة القرآن؛ وهومبدؤها ومنطلقها، وتلك حقيقة تاريخية كبرى لاينبغي أن نتجاوزها أونذير الفكر والعقل والوجدان عنها؛ بل الواجب علينا أن نتوقف إزاءها وقفات كثيرة؛ يأتي في صدارتها الإجابة عن سؤال أساس هو: كيف نجعل من رمضان دورة جديدة لبعثة الحضارة القرآنية ؟ خصوصا وقد بعدت الشقة بيننا وبين كتاب ربنا؛ وانحرفت الأمة عن منهجه في عمران الكون وخلافة الأرض وإقامة الشهود على الناس.

ولعل بسط هذا السؤال المنهجي للمداولة والمدارسة ستتفرع عنها ثلاث قضايا كبرى :

1– تجديد المسلمين التلقي للقرآن الكريم في حاضرهم.
2– تجديد مدارسته.
3– تجديد ممارسته.

تتجلى أهمية القضية الأولى في معرفة المنهج الأسلم والأرقى للتفاعل مع القرآن الكريم وهديه؛ لأن صحة التلقي ضمان لسلامة الترقي. والبوصلة الهادية إلى ذلك لن تكون– بطبيعة الحال– سوى الرجوع إلى سؤالين رئيسين بهما نحدد الجواب ونستمد الهدى والصواب وهما :

× كيف تلقى الرسول ﷺ القرآن من الروح الأمين؟

× كيف تلقى الصحابة ومن شهدوا عصر النزول هذا القرآن من الرسول ﷺ؟

ولئن كان الجواب معروفا ومحددا سلفا في كتب السيرة والحديث ، إلا أن حياتنا ومناهجنا وبرامجنا في التربية والتعليم والدعوة لم تستفد منها بالشكل المطلوب الذي يحصل المقصد ويوصل إلى المراد وهوبناء حضارة القرآن بدءا بالإنسان وانتهاء بالعمران.

إن اكتساب المنهج السليم للتلقي سيحيلنا إلى قضية مهمة فيه وهي تجديد مدارسته، فالرسول ﷺ كانت كل لحظات حياته يعيشها في ظل القرآن تعليما ومدارسة؛ بل كان يحث أصحابه على ذلك ففي الحديث الصحيح الصريح الذي رواه مسلم «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» ومع هذا كلما بلغه الله عز وجل رمضان إلا وجاءه الروح الأمين عليه السلام يدارسه القرآن من جديد ويجدد عهده به فعن ابن عباس رضي الله عنهما : «كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»(رواه البخاري).

ونحن اليوم أفقر إلى تجديد المدارسة للقرآن؛ وذلك لفهم طبيعته ووظيفته في الوجود البشري والكوني.فالقرآن رباني المصدر أي هوكلام الله؛ تلك طبيعته. أما وظيفته –كما أجملها القرآن نفسه– فهي الهداية. والمطلب هنا أن نعطي القرآن مايستحق بمقتضى طبيعته؛ ثم نستمد منه ونتعلم كيف نمارس وظيفته ونفعلها في الواقع؛ وهكذا نعمل الهداية بدل النكاية ونكون دعاة لاقضاة ونعين الناس على الاهتداء بدل الابتعاد اوالاعتداء. وبذلك نحقق مقاصد القرآن الكلية والجزئية في الكون والحياة؛ ونكسب أمتنا جولة الشهود ونعرج بالناس إلى مقام العبودية لله رب العالمين.

إن أداءنا لوظيفة القرآن تقتضي منا تجديد الممارسة لمفاهيمه وقيمه وحكمه وأحكامه في ضوء الواقع المتجدد ، والقضايا المستجدة؛ والظواهر الطارئة؛ والسلوكات المستحدثة. ولا يعني هذا بالضرورة– كما يحلوللبعض أن يتأول أويزعم– أن مراعاة ذلك تعطيل لكتاب الله وحكمه وإبطال لدوره بحجة أن القرآن جاء ليرفع الناس إلى مستواه؛ وهي حجة حق ، لكن تنزيلها مشوب بأفهام خاطئة جنت على وظيفة هذا الكتاب الكريم. وهنا يحق لنا أن نسأل هؤلاء القائلين بهذا القول : كيف تتحق صلاحية القرآن لكل زمان ومكان؟ وكيف ننزل خطابه الذي جاء للناس كافة مع اختلاف أفكارهم ومذاهبهم وعوائدهم وطبائعهم وأسلوب حياتهم ومعيشتهم..؟ إلى غير ذلك من الأسئلة المشروعة التي تنتظر جوابا صريحا ومعقولا.

وختاما: إن تجديد التلقي للقرآن الكريم وتجديد مدارسته وممارسته هي قضايا أساسية يجب إعادة النظر فيها حتى نؤهل أنفسنا إلى بعثة جديدة لحضارة القرآن ونشيد صرحها كما فعل الأولون فعاشوا في رفعة وعز؛ وملؤوا الدنيا عدلا وأمنا بعدما أدلجت جورا وظلما.

إصدارات

أصدر مركز البحوث القطري عددا جديدا من كتاب الأمة مؤخرا تحت عنوان "نحو فقه للاستغراب.. مقاربة نظرية وتاريخية" لمؤلفه د. محمد البنعيادي، وذلك ضمن سلسلة إصدارات هذا الكتاب والتي بلغت 132 إصدارا.

ومما جاء في تقديم مدير المركز ذ. عمر عبيد حسنه:

هذا الكتاب.. قدم نماذج من القيم والمبادئ والفلسفات، التي تشكل عقل الغرب ومرجعيته التي بدأت تتجاوز اليوم الانحباس الجغرافي إلى الدولة الثقافية الحضارية، التي تحاول فرض مركزيتها ومعاييرها وتسعى لتحويل الثقافات والحضارات الأخرى من شريك فاعل إلى تابع منفعل لا يخرج عن إقامة مؤسسات الفكر الدفاعي، في أحسن الأحوال، حسبه أنه يدور في فلك (الآخر)، ويتحاكم إلى مبادئه ومعاييره، وكأنه فوق النقد والمراجعة والدراسة، في محاولة للخروج من الارتهان الثقافي إلى مستوى الشريك الحضاري.

كما حاول تقديم رؤية عن (الآخر) وبناء أبجدية لقراءته ما تزال غائبة عن الكثير من عالمنا؛ وصناعة مفاتيح ثقافية لكيفية فتح المغاليق الحضارية، بحيث يصبح (الآخر) محل نظر ودراسة وليس مسلَّمة فوق النقد والمراجعة.

فلقد قدم الباحث نظرات معمقة في جذور الفلسفة والثقافة الغربية والإتيان بنماذج من المراجعات الحديثة للفكر الغربي، كما تتبع تطور الاتصال بالغرب منذ النشأة ورصد مدى الاستجابة وتنوعها؛ وطرح سؤال النهضة، وقدم نماذج لإجابات تاريخية ومعاصرة ومن أكثر من موقع جغرافي في بلاد المسلمين، كما توقف عند آليات إيقاظ الوعي والبحث في عوامل وأسباب ضعف (الذات) ونهوض (الآخر).

ويمكن اعتبار الكتاب دعوة لفهم (الآخر) وجعله محل دراسة علمية ومنهجية تستدعي الكثير من الدراسات والتحليلات بعد هذا الكسل العقلي والتخلف الذهني والعجز الثقافي والاستسلام لثقافة القوة المهيمنة، الأمر الذي يساهم بتحريض (الذات) لاسترداد فاعليتها وتحديد موقعها من الثقافة الغربية المهيمنة، واستنهاضها للوصول إلى مرحلة الشهود الحضاري.

زكاة الفطر

طاهري عبد المجيد

تعتبر زكاة الفطر صدقة واجبة على كل مسلم، روى الإمام مالك في الموطأ والشيخان في صحيحيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصبي والكبير من المسلمين.

وزكاة الفطر تسمى أيضا زكاة الصوم وزكاة رمضان لأن موعدها يحل آخر يوم الصوم إلى صبيحة يوم الفطر لطهارة الصائم من اللغو والرفث وصغار الذنوب الحاصلة له أيام صيامه ولكثرة ثوابه، ومواساة الفقراء والمساكين وإغنائهم عن السؤال يوم العيد.

وصرح الحديث النبوي الشريف أن قدرها صاع على كل فرد من غالب القوت الذي يعيش عليه أهل البلد، والصاع أربعة أمداد والمد هو الحفنة.

وزكاة الفطر واجبة بصريح الحديث وهي على كل مسلم ذكر أو أنثى صغير أو كبير حر أو عبد، و تجب على الصبي من ماله إن كان له مال، وإلا فعلى من عليه نفقته وعلى السيد إخراجها على عبده.

وزكاة الفطر لا يشترط فيها تملك النصاب كالزكاة على الأموال، وكذلك لا يتغير الصاع بالنقص والزيادة بتغير أنواع القوت كما ذهب إلى ذلك ابن عمر وأبو سعيد الخذري.. هذا وقد أفتى بعض العلماء مؤخراً بجواز إخراجها نقدا.

ووقت وجوبها وإخراجها المعتاد هو بعد غروب الشمس آخر يوم من رمضان صبيحة يوم العيد قبل ذهاب الناس إلى الصلاة، ويجوز تقديمها بيوم أو يومين، بل قيل إنه يجوز تقديمها من أول رمضان لوجود أحد سببيها وهو الصيام، وعليه الشافعي، قال مالك وأحمد : «يجوز تعجيلها بيوم أو يومين فقط أما تأخيرها عن صلاة العيد فلا ينبغي بدون عذر وإلا كانت مجرد صدقة من صدقات التطوع والأفضل أن تدفع كمن يوكل بجمعها ليفرقها على الفقراء وبقية الأصناف المستحقين لها، في الآية الكريمة، ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾(التوبة : 60) وإن لم يوجد يعطيها المزكي بنفسه لمن يستحقها.

﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله.. ﴾

دور القوى الكبرى في نشأة (إسرائيل) وتوسعها (6)

روسيا : بين منافسة القطبية وتراجع المكانة الدولية

بدأت علاقة روسيا بالصراع العربي - الإسرائيلي مبكرا منذ عام 1882 حينما هاجر بعض يهود شرق أوروبا (الإشكناز) من روسيا القيصرية إلى فلسطين، وقد أطلق على هذه المجموعة البشرية اصطلاح يهود "اليديشية"(1). ,إذا كانت إسرائيل قد اعتمدت على الغرب اقتصاديا وعسكريا، فإنها اعتمدت بشريا إلى حد كبير على اليهود السوفيات.

وبعد أن قامت الثورة البلشفية في أوائل القرن العشرين وتم إنشاء الاتحاد السوفياتي، استمر الاتحاد السوفياتي منغلقا على نفسه حتى قيام الحرب العالمية الثانية، حيث برز كقطب على المسرح الدولي في أعقاب هذه الحرب، ومن ثم تطلع الاتحاد السوفياتي إلى إقامة علاقات مع دول منطقة الشرق الأوسط التي تعتبر من أهم المناطق بالنسبة له بحكم موقعها القريب من حدوده، ونظرا لما تنطوي عليه من ثروات طائلة، ولكونها كانت منطقة نفوذ مغلقة على الاستعمار البريطاني والفرنسي، ومن ثم لم يكن له فيها أي تواجد، بل لم يكن له معها أية صلات.

إعداد : مركز الدراسات الحضارية

تنافس الحرب الباردة

إزاء سعي الولايات المتحدة الدؤوب لمحاولة وراثة تركة الاستعمار البريطاني من خلال سياسة "ملء الفراغ"، ونظرا لسيادة مناخ الحرب الباردة، فإن الاتحاد السوفياتي كان يقف متحمسا ومتربصا لأية ثغرة أو طريقة يستطيع أن ينفذ منها لعمل أي نوع من العلاقات مع دول المنطقة أو التواجد فيها رغم مبادرته للاعتراف بإسرائيل سريعا.

وقد وجد الاتحاد السوفياتي هذه الفرصة الذهبية عندما لم تجد مصر من تشتري منه السلاح لتدافع به عن نفسها ضد العدوان الإسرائيلي المتكرر بعد أن أغلق الغرب والولايات المتحدة جميع الأبواب أمامها، ومن ثم عقدت مصر صفقة الأسلحة الشهيرة عام 1955 مع المعسكر الشرقي، وتلا ذلك إعطاء الاتحاد السوفياتي حق بناء السد العالي، ومن هنا تم تتويج العلاقات السوفياتية مع مصر عام 1956، وبادر الاتحاد السوفياتي بالوقوف إلى جانب مصر وإصدار إنذاره الشهير على لسان "بوليغانين" بضرب بريطانيا بالصواريخ إذا لم تتوقف القوات المعتدية.

وفي أعقاب هزيمة 1967 قام الاتحاد السوفياتي ومعه دول المعسكر الشرقي، بقطع علاقاتهم الدبلوماسية مع إسرائيل، واتخذ مواقف سياسية مؤيدة للعرب في مجلس الأمن، وكان موقفه الرسمي المعلن دائما هو ضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضي التي احتلتها بعد حرب 1967، والاعتراف بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني كشرط أساسي لتحقيق أي سلام في الشرق الأوسط.

وقد تدفقت الأسلحة السوفياتية على مصر وسوريا في فترة حرب الاستنزاف، وصاحب التسليح استقدام خبراء روس للتدريب على استخدام هذه الأسلحة.

وبعد نشوب حرب 1973 ومبادرة الولايات المتحدة لتدعيم إسرائيل بالسلاح المتطور؛ تدخل الاتحاد السوفياتي حتى لا يسمح للسلاح الأمريكي بكسر السلاح السوفياتي(2). إلا أن هذ التدخل جاء بتباطؤ من قبل الاتحاد السوفياتي في إرسال شحنات الأسلحة التي اتفق عليها متعللا بأنه لم يحصل على ثمنها.

وهنا بادرت الجزائر بتسديد الثمن له بالكامل. لذا فقد تميزت هذه الفترة بقدر من الفتور في العلاقات العربية - السوفياتية خاصة بعد أن قام الرئيس السادات بطرد الخبراء السوفيات واتبع سياسات أكثر ميلا للغرب والولايات المتحدة فيما بعد حرب 1973.

وكان الموقف السوفياتي من الصراع العربي - الإسرائيلي بعد حرب 1973 أكثر جلاء ووضوحا، حيث دأب على مهاجمة إسرائيل وتأييد الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وقد نادى الاتحاد السوفياتي بضرورة استئناف أعمال مؤتمر جنيف، وأن تشارك فيه منظمة التحرير الفلسطينية بلا تحفظات، وقد قوبل ذلك باحتجاج شديد من قبل الولايات المتحدة لرغبتها في الانفراد بعملية التوسط في عملية السلام.

ما بعد انهيار الاتحاد السوفياتي

استمر الاتحاد السوفياتي بتبني صيغة المؤتمر الدولي كإطار يتم في داخله تسوية الصراع العربي - الإسرائيلي، ومن ثم فإن هناك تغيرات داخلية اقتصادية واجتماعية وسياسية قادت في مجملها إلى إلغاء الوجود السياسي للاتحاد السوفياتي في 20 ديسمبر 1991 وإعلان إنشاء "رابطة الدول المستقلة" وقد أجمع الباحثون على ان التغيرات أدت إلى انعكاسات ضخمة على العالم العربي، حيث أدى غياب أحد قطبي التوازن الدولي والحليف العالمي الرئيسي لبعض الدول العربية في صراعها الرئيسي الإقليمي مع إسرائيل؛ إلى التأثير على وضع العرب في النسق الدولي(3)، الأمر الذي أدى إلى خضوعهم للهيمنة الأمريكية.

وجاء انهيار الاتحاد السوفياتي بعد شهرين من بدء مفاوضات السلام المنبثقة عن مؤتمر مدريد سواء في شقها الثنائي الذي انعقد في - جانب منها - في موسكو، وورثت روسيا الاتحادية دور الاتحاد السوفياتي، وحاولت قدر المستطاع أن تلعب دور الراعي الثاني لعملية السلام في الشرق الأوسط.

لقد كان وجود الاتحاد السوفياتي السابق كقطب استراتيجي عالمي عاملا في رفض صيغة المؤتمر الدولي التي طالما نادت بها وساندتها أطراف عربية وغير عربية كثيرة كإطار لعملية نسوية شاملة دائمة وعادلة للصراع العربي - الإسرائيلي، حيث كان من شأن انعقاد مثل ذلك المؤتمر إعطاء الاتحاد السوفياتي مكانا هاما ومؤثرا في عملية التسوية آنذاك، وهو الأمر الذي ظل مرفوضا من قبل الولايات المتحدة و(إسرائيل)، إذ كان المرغوب والمقبول الوحيد هو دور سوفياتي شكلي في رعاية عملية التسوية، وهو دور كان مرفوضا بطبيعة الحال من الاتحاد السوفياتي، وهو دور كان مرفوضا بطبيعة الحال من الاتحاد السوفياتي القطب العالمي، ولكنه أصبح مقبولا وممارسا من قبله قبيل تفككه حين بدأ يفقد صفة القطبية، واستمر نفس الدور الذي يمارس من جانب روسيا الاتحادية الوريث الوحيد للاتحاد السوفياتي(4).

ومن ناحية أخرى فإن وجود الاتحاد السوفياتي كان مصدرا للقوة يمكن التعويل عليه من جانب الدول العربية التي كانت ترى أن التسوية السلمية للصراع ليست هي أفضل الخيارات بالضرورة، ولكن مع سقوط الاتحاد السوفياتي فإن هذه القوى أدركت أن استمرار الصراع سيكون ذا تكلفة مرتفعة، حيث قرر هؤلاء المتشددون المشاركة في عملية التسوية التي قادتها الولايات المتحدة الأمريكية وحدها.

ومع بدء المفاوضات الثنائية في واشنطن فإنه على الرغم من أنها كانت تعقد تحت رعاية "راعي السلام"، إلا أن روسيا لم يكن لها إلا حضور شكلي ورمزي، في حين كانت الولايات المتحدة تمسك بزمام الأمور، ويمكن تبرير ذلك بتواري قوة ونفوذ روسيا في أعقاب سلسلة من الصراعات الداخلية، فضلا عن انشغالها بالقضايا الاقتصادية والنزاعات الداخلية وتأخر اهتمامها بالصراع العربي - الاسرائيلي إلى درجة تالية لأوضاعها الاقتصادية التي اعتمدت في تدبيرها على الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة.

ومن ثم فإن مشاركة روسيا في توقيع اتفاق إعلان المبادئ الفلسطيني - الإسرائيلي واتفاقية السلام الأردنية الإسرائيلية؛ جاءت على مستوى وزير الخارجية، وبشكل رمزي يؤكد ويدعم تواري حجم تأثير روسيا في مجريات الأحداث وفي عملية التسوية برمتها.

وفي الوقت الذي نشطت فيه الدبلوماسية الأمريكية لحفز الأطراف على المضي قدما في طريق التسوية، فإن روسيا تقاعست فيه عن القيام بهذا الدور تاركة الساحة خاوية أمام اللاعب الأمريكي لكي يحرك الأحداث وفقا لتصوره ورؤيته ومصالحه.

وفي نفس السياق فإننا نفهم أن محاولة روسيا -المتأخرة جدا- لعب دور في دفع المسار السوري واللبناني في عملية السلام من خلال جولة وزير الخارجية الروسي أندريه كوزيريف في منطقة الشرق الأوسط في مطلع تشرين الثاني/ نوفمبر 1994؛ هي محاولة محكوم عليها بالفشل نظرا لإصرار الولايات المتحدة على أن تصبح هي الفاعل الرئيسي في عملية التسوية، وأن تكون هي المدخل الرئيسي لأية تسوية تتم في المنطقة.

إن الدور الروسي في منطقة الشرق الأوسط قد تقلص إلى درجة كبيرة، وكان ذلك متواكبا مع تقلص الدور الروسي في أماكن شتى بسبب القيود الداخلية على حركة صانع القرار الخارجي في روسيا، ومن ثم فإنه على المدى القصير لا يرجى للدور الروسي أن يقدم الكثير في المنطقة العربية.

1- انظر د. عبد الوهاب المسيري، هجرة اليهود السوفيات، دار الهلال، القاهرة 1990، ص .14

2- انظر د. صلاح العقاد، السادات وكامب ديفد، ص .121

3- انظر د. محمد السيد سليم، العرب فيماب عد العصر السوفياتي، مجلة السياسة الدولية، الأهرام، عدد 108، ص .146

4- انظر د. مصطفى علوي، البيئة الدولية للمفاوضات، ص .81

﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله.. ﴾

إطلالة على تاريخ فلسطين (12)

مسيرة القضية الفلسطينية ما بعد القرن العشرين (خيار المقاومة هو السبيل) 4

5- الانتفاضة في شهر رمضان

ذ. أبوالقاسم بوعزاوي
figkacem@hotmail.fr

لقد كان شهر رمضان -شهر الجهاد- عبر تاريخ الأمة - حافلا بالأمجاد والانتصارات،وبذلك رفعت هامة الأمة بعيدا عن ثقافة الوهن والضعف التي نزلت في زماننا هذا بالمسلمين إلى الحضيض حيث تداعت عليهم الأمم، واستعمرت أرضهم شرذمة ﴿ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله﴾ ولولا هذه الثقافة - ثقافة الوهن والضعف- لما سادوا وتجبروا وبغوا في الأرض. لقد قامت السلطة بفلسطين بتوفير الجوللخونة والعملاء الذين قاموا بكشف ملفات المجاهدين و"التنسيق الأمني" مع العدووكل الخطوات الشيطانية مهدت لاغتيال مجموعة من المجاهدين- في شهر رمضان.

إن محطات عظيمة من تاريخ أمتنا سجلت في هذا الشهر الكريم الذي يمثل المدرسة التي تنتج خريجا قد انتصر على شهواته ونزواته أي على عدوه الداخلي وبناء عليه يكون قد اعد العدة للانتصار على عدوه الخارجي، انه المطهر -كما قال ﷺ- مطهر من كل ثقافة الوهن والانتقال بالفرد إلى ثقافة الجهاد ورفض كل أشكال الخضوع والخنوع.

وقد حدث هذا في الانتفاضة في كل مراحلها وسنواتها وشهورها، لكنه كان للانتفاضة في شهر رمضان تميز خاص فقد ازداد تشوق المجاهدين للجهاد والاستشهاد بالرغم من نعيق المطبعين والمهرولين للاستسلام والذين بشروا بالرخاء والسلام وبسوق الشرق الأوسط.ولعل الإضراب الذي ساد الأراضي الفلسطينية في شهر رمضان عام 1421الموافق لشهر ديسمبر 2000 الذي دعت إليه كل القوى الفلسطينية احتجاجا على إرسال الوفد الفلسطيني إلى واشنطن للتفاوض لدليل على رفضهم لكل أشكال التطبيع، ولم يقتصر الامر على هذا بل نفذ المجاهدون عدة عمليات نذكر منها(1):

خسائر العدو	التاريخ	الموقع	العملية
غير محدد	6-12-2000	قرب قرية سالم رام الله	كمين
جرح ثلاثة	7-12-2000	قرب بلدة برقة - نابلس	كمين
غير محدد	7-12-2000	الطريق الالتفافي في جنين	كمين
جرح اثنان واستشهاد المنفذ أبوعاصي 30 عام	7-12-2000	منطقة ايرز / غزة	طعن
قتيلان وجريح	8-12-2000	مستوطنة كريات أربع / الخليل	كمين
قتيلان	8-12-2000	الطريق الالتفافي قرب أريحا	كمين
اكتشفت العبوة وتم تفكيكها	10-12-2000	مستوطنة ألون مورية / نابلس	عبوة ناسفة
غير محدد	10-12-2000	مستوطنة عطيريت رام الله	هجوم
جرح جندي	11-12-2000	خان يونس	قنبلة يدوية
غير محدد	11-12-2000	كريات أربع / الخليل	عبوة ناسفة
غير محدد	11-12-2000	حي النبي يعقوب / القدس	كمين
غير محدد	11-12-2000	الخليل / مستوطنة عوتتيل	عبوة ناسفة
غير محدد واستشهاد نور الدين صافي	15-12-2000	منطقة ايرز/ غزة	طعن
جرح مستوطنة	17-12-2000	مستوطنة مفودوتان / جنين	كمين

إن الانتفاضة في شهر رمضان - وكل أشكال المقاومة- أعادت الاعتبار للأمة "إن إعادة الأمل إلى الأمة هو أول درس ثقافة المقاومة، وهو أول مؤهلات النجاح في الامتحان التاريخي الذي تواجهه الأمة الآن، وهو أول خطوة في طريق التحرر والتحرير"(2).

لقد استفاد رجال المقاومة في الأرض المباركة أن الانتصارات التي حققتها الأمة في هذا الشهر الكريم: هي من عند الله وحده، ولذلك لم ترهبهم ترسانة العدو، بل ﴿وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾(الأنفال : 10).

إن"الانتفاضة" على النفس أولا تكون سبيلا للانتصار على العدوالخارجي فان الصحابة يوم بدر -التي وقعت في السابع عشر من شهر رمضان- كانوا قلة وليس لهم عدة كثيرة ﴿ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾(آل عمران ك 123) ولكن كانت لهم قلوب ممتلئة بالإيمان وجاهزة لخوض أي معركة مع عدوهم مهما بلغ عدده وعدته، يقول د. عدنان علي رضا النحوي: "إن معركة الإيمان والتوحيد،تبدأ في نفوسنا نحن، وفي نهجنا وأهدافنا، وسعينا وجهدنا، ليستقيم ذلك كله على أمر الله، ولينطلق من منهاج الله قرانا وسنة، ومن وعي الواقع الذي نعيش فيه، ولينهض على هذا الإيمان والعلم والوعي، النهج المفصل والدرب المشرق والأهداف الثابتة"(3). ومن شهداء هذا الشهر العظيم في أرض الرباط والجهاد الشهيد عوض سلمي الذي استشهد ليلة الثامن من رمضان المبارك، ظل عوض مستيقظا وهويصلي يدعو الله أن يرزقه الشهادة، وبعد الفجر ألقى نظرة وداع على أطفاله الخمسة ومضى إلى ساحة الشهادة غير مبال بكل الأوتاد وبكل عرض الدنيا، إنه اختار الحياة الحقيقية، يقول رب العزة :

﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾.

1- مجلة فلسطين المسلمة العدد الأول يناير 2001

2- " انتفاضة الأقصى نموذج حضاري إسلامي للمقاومة " : د سليمان صالح - سلسلة كتاب القدس - (16)

3- فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع للدكتور عدنان علي رضا النحوي الطبعة الثانية 1412 هـ - 1992م

شخصيات مؤثرة في القضية الفلسطينية (4)

شخصيات صهيونية غير يهودية

1 آرثر بلفور (1848-1930)

ارتبط اسم آرثر بلفور بوعد بلفور الصادر في نوفمبر 1917م، الذي تضمن التصريح البريطاني الرسمي بالتعاطف مع الأماني اليهودية في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وذلك على شكل رسالة بعث بها اللورد بلفور الذي كان يشغل منصب وزير الخارجية إلى اللورد روتشيلد المليونير اليهودي المعروف.

درس بلفور تعاليم العهد القديم، واهتم بالمسألة اليهودية خلال فترة توليه منصب رئاسة الوزراء في بريطانيا (1902-1905) وذلك عندما بدأت موجات هجرة شرق أوربا تجتاح بريطانيا، وكان بلفور معارضًا لهذه الهجرة؛ انطلاقًا من موقفه الذي يستند إلى فكرة: أن الشعب المختار هو أيضاً جماعة أجنبية معادية تؤمن بدين هو محل كره متوارث من المحيطين بها، وأنهم جماعة لا تندمج وتعاني ازدواج الولاء بل انعدامه أحياناً، وأنهم سيتسببون في كوارث قد تلحق بإنجلترا ؛ ولذلك فإن من الأفضل تحويلهم إلى مادة نافعة لخدمة التشكيل الحضاري الغربي من خارج أوربا.

استمر بلفور بدعم الصهيونية بعد إصدار تصريحه الشهير، لا سيما في المؤتمرات التي عُقدت بعد الحرب العالمية الأولى (1914-1918)؛ ففي سنة 1922م ألقى خطاباً في مجلس اللوردات البريطاني حثّ فيه بريطانيا على قبول فرض الانتداب على فلسطين، وتقدم بمسودة قرار الانتداب لعصبة الأمم، كما شارك في افتتاح الجامعة العبرية في القدس سنة 1925م.

وتقديرًا لإسهامه في خلق الدولة الصهيونية.. توجد في إسرائيل مزرعة تعاونية تُدعى ((بلفوريا)) أسسها مستوطنون من الولايات المتحدة، كما توجد شوارع في تل أبيب والقدس سُميت جميعها باسمه، ويُطلق كثير من اليهود على أبنائهم اسم ((بلفور)) مع أنه ليس اسماً عبريًا أو يهوديًا.

رسالة إلهية إلى الذين لا يصلون

معجزة الصلاة في الوقاية من مرض دوالي الساقين

توضيب : ذ. امحمد رحماني
arahmani@hotmail.com

أكد بحث طبي أجراه الدكتور توفيق علوان على أن للصلاة قدرة هائلة على الوقاية من مرض دوالي الساقين، وهو أول بحث يربط بين الدوالي والتمرينات العضلية الخفيفة على مستوى العالم من خلال دراسة أجراها الباحث على عشرين (20) حالة مصابة بدوالي الساقين و عشر (10) حالات غير مصابة، كما قام بقياس الضغط الوريدي على ظاهر القدم في خمسة عشر (15) حالة غير مصابة.

وقد أثبت الباحث تأثير الصلاة في الوقاية من مرض دوالي الساقين، وقد حصل هذا البحث على درجة الماجيستير بتقدير ممتاز٪ 100 من كلية الطب قسم الجراحة العامة بجامعة الإسكندرية.

ومرض دوالي الساقين كما جاء في البحث هو خلل شائع في أوردة الساقين يتمثل في ظهور أوردة غليظة ومتعرجة وممتلئة بالدماء المتغيرة اللون على طول الطرفين السفليين ومن المؤلم أنها تصيب ما يقرب من 10إلى ٪20 من الجنس البشري.

وقد جاء في البحث أن الدكتور (دافيد كرستوفر 1981م) قرر أن الضغوط الواقعة على أوردة الطرفين السفليين وفي أية نقطة منها تأتي نتيجةً لثلاثة أنماط من الضغوط المنفردة وهي :

- الضغط الناجم عن قوة الدفع المترتبة على ضخ عضلة القلب.
- الضغط الواقع بتأثير الجاذبية الأرضية إلى أسفل ويرجع إلى الوضع المنتصب للإنسان.
- الضغط الناتج عن التغيرات الانتقالية المؤقتة :

● كالتغيرات المركزية التي تنشئها الموجات المتعاقبة كرد فعل لعمل القلب.

● كالتغيرات المنظمة في الضغط داخل القفص الصدري كنتيجة لعمل الرئتين تمددا وانكماشا.

● كتغير الضغوط بالأوردة بناءً على عمل الإنقباضات المتتابعة لعضلات الطرفين السفليين.

ولذا فقد صار معلوما بين العلماء أن دوالي الساقين ما هي إلا خاصية من خصائص الوضع المنتصب للإنسان حيث ثبت أنه لا يوجد أي نوع من أنواع الحيوانات الأخرى على الأرض تعاني من هذه النازلة.

كما جاء في البحث أيضا :

«أن هناك إجماعاً على أن الضغط على ظاهر القدم حال الوقوف يتراوح بين (90 – 120 سم/ماء) ولأجل هذا يبرز الدور البالغ الأهمية للمضخة العضلية الوريدية حيث ينخفض هذا الضغط تحت الإيقاع المنظم للإنقباض والاسترخاء المتتابع لعضلات الطرفين السفليين أثناء المشي مثلا، فإذا بالقيمة وقد بلغت (20 مليمتر/زئبق) عند مفصل الكعب عقب فترة وجيزة من تحريك الطرفين السفليين.

وقرر العلماء أن أهم عنصرين رئيسيين ضالعين في تدمير الأوردة السطحية وإبراز دوالي الساقين هما :

1- تركيز أعلى قيمة للضغط على جدارات الأوردة السطحية للطرفين السفليين عن طريق الوقوف بلا رحمة ولفترات طويلة.

2- أن الوريد السطحي المؤهل للإصابة بالدوالي إنما يكون واقعا من البداية تحت تأثير مرض عام في الأنسجة الرابطة يؤدي بدوره إلى إضعاف جدرانه إلى مستوى أقل من نظيره الطبيعي».

علاقة الصلاة بالدوالي :

جاء في البحث : «أما عن تلك المعضلة فإنه بالملاحظة الدقيقة للحركات المتباينة للصلاة وُجِدت أنها تتميز بقدر من الإنسيابية والإنسجام والمرونة والتعاون، وأعجب أمر أنه بالقياس العلمي الدقيق للضغط الواقع على جدار الوريد الصافن عند مفصل الكعب كان الانخفاض الهائل لهذا الضغط أثناء إقامة الصلاة مثيرا للدهشة وملفتا للنظر، فعند المقارنة ما بين متوسط الضغط الواقع على ظاهر القدم حال الوقوف ونظيره حال الركوع وجد الأول وقد بلغ ما قيمته (93.07 سم/ماء) فيما كان الثاني (49.13 سم/ماء) فقط، وكما هو ظاهر فإن النسبة لا تزيد إلا يسيرا عن نصف الضغط الواقع على جدران تلك الأوردة الضعيفة، أما متوسط الضغط عند السجود الأول فكان ناقصا إذ بلغ فقط (3 سم/ماء) وغني عن البيان أن انخفاضه لهذا المستوى ليس إلا راحة تامة للوريد الصارخ من ضغطه القاسي طوال فترة الوقوف.

أما عند السجود الثاني فكانت القيمة (1.33 سم/ماء) وفي عملية مقصودة لإخلاء الوريد من مزيد من الدماء كي يتحقق بذلك أكمل درجات الاستقرار لهذه الجدران المنهكة تحت الآثار المؤلمة للضغوط عليها، وهذا التغير في الضغط انخفاضا بين السجود الأول والسجود الثاني، وإن كان ليس بذي دلالة علمية مؤثرة إلا أنه ربما يكون نتيجة لعملية سحب الدماء من الطاقم السطحي للأوردة إلى الطاقم الأعمق كما قدر ذلك بعض العلماء، خصوصا إذا علمنا أنه بين كل سجدتين يستقر المرء جالسا في اطمئنان وهدوء.

وما دمنا قد ذكرنا جلوس الصلاة فقد وجدنا أن متوسط الضغط الوريدي عنده وقد انخفض إلى ما قيمته فقط (16.73 سم/ماء) في تعبير بليغ عن أوضح الدلالات العلمية.

وفي محاولة طريفة لاستبعاد الوقوف تماما من حركات الصلاة وحساب متوسط الضغوط الأخرى (ركوع، سجود، جلوس) كانت النتيجة معبرة تماما حيث وجدت المحصلة (17.55 سم/ماء) وهكذا لا تكاد الضغوط في كل ركعة على جدران الأوردة تبلغ 19٪ فقط من قيمة الضغط أثناء الوقوف.

والحاصل أن الصلاة بحركاتها المتميزة تؤدي إلى أقصى تخفيض لضغط الدم على جدران الوريد الصافن مرتين :

● الأولى : بذات الأوضاع المؤدية إلى تناقص الضغط حسب معادلة " برنولي ".

● الثانية : بتنشيط المضخة الوريدية الجانبية مما يؤدي إلى تخفيض إضافي للضغوط المذكورة.

أما التأثير الثالث والبالغ الغرابة للصلاة فهو يرجع إلى ما يبدو أن الصلاة تؤدي إلى تنشيط للقدرات البنائية لمادة الكولاجين ومن ثم تقوية جدران الوريد.

وإنه لعجب حقا أن النتائج التي توصلنا إليها بقياس كمية الهيدروكسين برولين في الجدار عند أولئك المصابين بدوالي الساقين ومنهم المصلون ومنهم غير المصلين فإذا به في المصلين وقد بلغ 26.13 وفي غير المصلين 16.43 فقط في انخفاض مؤثر عن الأولين، أما عند غير المصابين بالدوالي أصلا فقد كانت النتيجة مذهلة حيث سجلنا فرقا ملحوظا أيضا بين المصلين وغير المصلين فكان متوسط قيمة الهيدروكسين برولين في جدار أوردة المصلين 80.93 بينما استقر متوسط غير المصلين عند 63.40 فقط في علامة استفهام كبيرة حول هذا الدور السحري للصلاة على تنشيط القدرات البنائية للمادة المقوية لجدار الوريد، هل لهذه الصلاة المنظمة المحكمة دور ما كنوع رتيب وهادئ من التمارين الرياضية البالغة الفائدة أو حتى كعملية راشدة من عمليات الاستقرار المريح لمواجهة الضغوط النفسية الهائلة التي طالما وقع الناس فريسة لها ؟

إن الإجابة الحاسمة قد أبصرت النور على لسان "دوليام جانونج 1981م" حيث فرق بعناية بين التمرينات العضلية الشاقة وبين تلك الهادئة والخفيفة، فقرر أن الأخيرة تحدث تغييرات تظهر في تمدد الأوعية الدموية وزيادة الضخ الدموي بها ومن ثم تزداد نسبة التغذية بالأوكسجين الحيوي الذي يكون كافيا لإنتاج الطاقة الهادئة المطلوبة لتلك التمارين وهكذا تكون عمليات الاحتراق بكاملها معتمدة على الهواء الجوي مع أقل نسبة من الرواسب والفضلات المتراكمة بالدم أو العضلات المزعجة والتي لا تنطلق في الدورة الدموية إلا حال الاحتياج الماس لتخليق الأوكسجين بسبيل آخر غير الهواء الجوي وهو تكسير المخزون من الجلوكوز في سلسلة معقدة من التفاعلات تنتهي بعادم من حمض اللاكتيك هذا الذي يتم لتخليق الأوكسجين عند ممارسة التمارين العنيفة الشاقة المرهقة.

> **الحاصل أن الصلاة بحركاتها المتميزة تؤدي إلى أقصى تخفيض لضغط الدم على جدران الوريد الصافن مرتين :**
> **" الأولى : بذات الأوضاع المؤدية إلى تناقص الضغط حسب معادلة " برنولي ".**
> **" الثانية : بتنشيط المضخة الوريدية الجانبية مما يؤدي إلى تخفيض إضافي للضغوط المذكورة.**

وعلى هذا فإن التمارين الهادئة الخفيفة المنتظمة تحقق الفائدتين معا :

- أولا : تزيد من قابلية الجسم لاستقبال نسبة أعلى فأعلى من الأوكسجين الجوي، فإذا بحيوية دافعة في كافة أطراف الدورة الدموية.
- ثانيا : تؤدي إلى أقل إفراز لحمض اللاكتيك المرهق للدورة الدموية، ولهذا يتم الاحتفاظ بأكبر نسبة من مخزون الأوكسجين في مقابل الجهد والطاقة المبذولة في هذه التمارين الخفيفة المبذولة أثناء الصلاة.

وهناك فائدة أخرى حيث أن كل الطاقة الناجمة من مثل هذه التمرينات لا تبرز إلا في صورة حرارة وذلك بسبب ضعف أو حتى عدم الحركة الخارجية الكثيرة بحسب القانون الذي يحدد إنتاج القوة بمساواته للمسافة التي تقطعها الكتلة بتأثير تلك القوة، ولمّا كانت المسافة هاهنا منعدمة فتتحول الحرارة الناتجة وبصورة آلية إلى مخزونات داخل الجسم ومركبات غنية بالطاقة لاستخدامها كلما لزم الأمر.

وفائدة رابعة : أن هذه الحركات الذائبة ترفع من معدل تهوية الجسد فيما يسمى بالكفاءة التنفسية (وهي عبارة عن النسبة بين ثاني أكسيد الكربون المطرود من الرئتين والأوكسجين الداخل إليهما في وحدة زمنية ثابتة) ويرمز لها علميا بالرمز (RQ). وهي نسبة لا تزيد في أحسن أحوال الجسم تهوية عن الواحد الصحيح غير أنها تحت تأثير التمرين الخفيف للعضلات الحادث أثناء الصلاة ترتفع لتبلغ ما قيمته ضعف القيمة المذكورة يعني (2) وما ذلك إلا لسرعة طرد كميات ثاني أكسيد الكربون من الجسد وارتفاع نسبة استنشاق الأوكسجين من الهواء الطلق، أضف إلى كل هذا أن المعدل الأساسي للتمثيل الغذائي بالجسم يعتمد في نشاطه على عدة عوامل أهمها هو الجهد العضلي ذلك أن استيعاب كميات جديدة من الأوكسجين لا يتضاعف حال القيام بهذا الجهد فحسب بل لفترة طويلة بعد تمامه (80)، أما الأمر الطريف والمدهش فهو أن معدل هذا التمثيل قد وجد في الأفراد المصابين بالاكتئاب والأضطرابات النفسية أقل من نظيره في الحالات السوية من الناحية النفسية، ويلاحظ هاهنا أن الصلاة باعتبارها أحد الأوامر الإلهية المؤدية إلى أتم حالات الاستقرار النفسي والإطمئنان القلبي، مَا ثَمَّ هجمات للاكتئاب ولا نوبات للأحزان وهكذا يبلغ معدل التمثيل الغذائي أعلى نسبة له بتوفير أنسب مناخ يؤدي فيه وظائفه على أكمل وجه. وعلى الجملة فإن الصلاة تقوم بكفاءة عجيبة بتنشيط كافة العمليات الحيوية داخل الجسم الإنساني بما فيها جميع العمليات التمثيلية الغذائية كذا كعامل نفسي وعضلي فعال ومؤثر، ولعل في كل الذي ذكرناه لك تبريرا كافيا لهذا الارتفاع الملحوظ بين المصلين في معدلات بناء الكولاين (النسيج الرابط والمقوي بجدار الوريد الصافن) وتلك النتيجة المبهرة التي توصلنا لها في هذا البحث المتواضع لأداء الصلوات بحركاتها المتميزة علاقة وثيقة بالوقاية من مرض الدوالي.

صفات الشخصية المسلمة 1

د. إبراهيم بن البو

ما أنزل الله العليم الحكيم الوحي لعالم الإنس من خلقه عبثا وما أرسل إليهم رسلا منهم لعبا، وإنما لتحقيق غايات جوهرية مقصودة من رب الخلائق أجمعين، من أهمها تعريفهم بحقيقة ربهم الواحد الصمد، المتصف بكل صفات الجلال والجمال والكمال، وبيان وظيفتهم الأساسية من خلقهم المتمثلة أساسا في عبادة رب العباد بإخلاص تام وخضوع تام وحب تام، وعمران الأرض بقيم العدل والخير والجمال...

غير أن بلوغ هذه المقاصد يتطلب تنشئة الشخصية المسلمة المتشبعة بالإيمان، المتضلعة من غيث القرآن، المرتوية بفيوضات الرحمن والمنصبغة بصبغة المنان. وهذا ما بدأ به النبي ﷺ، فأخرج للناس بفضل من الله جيلا ربانيا، فرآني التصور والسلوك، أثرى الحضارة الإنسانية بقيم ومثل لم تشهدها من قبل وساهم في عمرانها المادي بانجازاته الفكرية والعلمية والحضارية.

والغرب اليوم يسعى بكل إمكاناته العسكرية والسياسية والاقتصادية والفكرية إلى عولمة ثقافته وبسط أفكاره على الغير، ومحق الأفكار المخالفة حتى ولو كانت صحيحة منطقية تقنع العقل وتسعد القلب، فهو يريد من المسلم أن يكون ممسوخ الشخصية والهوية، بلا قرآن ولا عقيدة ولا أخلاق ولا ثقافة خاصة، يريده أن يكون تابعا لما يمليه عليه مرحبا بكل إصداراته حتى وإن كانت تخالف فطرته السليمة في نقائها ومنطقها.

ومن هنا نجهر بالسؤال: أما آن الأوان لعلماء الأمة في الجانب الشرعي والعلوم الإنسانية أن يوحدوا جهودهم لوضع المناهج الكفيلة بصيغة الشخصية المسلمة الفاعلة حضاريا المتمسكة بعقيدتها السمحة؟ ولن يتم لهم ذلك فعلا إلا بالإجابة على الأسئلة الفرعية التالية: ما حقيقة الشخصية المسلمة؟ ما مواصفاتها المميزة؟ و ما السبيل إلى إعادة صيغة نموذج خريج المدرسة المحمدية؟

ورغم أن الخوض في هذه المسألة التربوية ليس بالأمر الهين، إذ العقبة كؤود، لكن بعض العلماء اقتحموها بكل طاقاتهم وإمكاناتهم ففتح الله عليهم فتحا مبينا ، وهذه محاولة مني رغم قلة الزاد الإيماني والفكري راجيا من الله تعالى التوفيق والسداد.

1– معنى الشخصية المسلمة:

الشخصية المسلمة مركب وصفي يتركب من مصطلحي: الشخصية و الإسلامية، ولا يمكن الوصول إلى حقيقته إلا بعد التعرف على مكونيه بحق.

فالشخصية في عرف علماء النفس هي الذات الإنسانية المتشكلة من جوهر وعرض، جوهر بمثابة أصل يبنى عليه ما سواه وعرض تابع له مبني عليه. وتتكافل فيها ثلاثة جوانب أساسية: الجسد وهو المظهر والعرض، إضافة إلى العقل والروح ويمثلان في تفاعلهما وتكاملهما الجوهر الأساس المسؤول بشكل كبير عن حالة القوة والاتزان والصلاح أو عن حالة الضعف والهوان والفساد، والمعبر عنها غالبا بسلوكيات بارزة وأفعال ظاهرة(1).

والإسلامية: نسبة إلى الإسلام، والإسلام في معناه اللغوي: الرضا والقبول، والخضوع والتذلل، وفي معناه الاصطلاحي: أن يسلم العبد وجهه لله تعالى وأن يقبل دين الحق الذي ارتضاه سبحانه وتعالى لعباده في نسخته الأخيرة الكاملة المهيمنة على ما سبقها والصالحة لكل زمان ومكان، قال جل وعلا: ﴿و من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾(آل عمران : 84).

إنه الدين الحق الجامع لكل التعاليم الربانية البانية للإنسان، المشكلة لشخصيته في جوانبها الثلاث، تعاليم تجمع بين العقائد والتصورات والعبادات والطاعات والمعاملات والأخلاق والآداب والفضائل والشيم والشمائل، كلها منظومة في عقد فريد، مجملة كأصول في كتاب رباني محكم، مفصلة تفصيلا بديعا ممن أوتي جوامع الكلم إما بالقول أو الفعل أو التقرير.

والحاصل مما سبق، أن الشخصية الإسلامية هي الذات الإنسانية، جوهرا وعرضا، المنصبغة ظاهرا وباطنا بالصبغة القرآنية الربانية:﴿صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة﴾(البقرة : 137)، المنشئة في كل مراحلها العمرية بتعاليم الإسلام عقيدة وعبادة وأخلاقا والمتشبعة بقيمه وآدابه، السارية فيها روح القرآن، المتنورة بنوره والمهتدية بهديه في تفاعلاتها وعلاقاتها مع الخالق والآخر والكون:﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾(الإسراء، 9)

2– مواصفات الشخصية المسلمة:

خريج مدرسة التربية الإسلامية المؤهل لخلافة الأرض وعمارتها، المستحق للتكريم الإلهي الدائم في الدنيا والآخرة، هو ذلك الإنسان الذي تتجسد فيه جملة من المواصفات المميزة له عن غيره، وقد أجاد الدكتور يوسف القرضاوي في تحديدها (2)، فذكر منها – بعد استقراء النصوص القرآنية والحديثية ñ أن يكون :

إنسان الإيمان الصحيح الراسخ : الذي اتضحت له الصورة الحقيقية عن نفسه والعالم من حوله، فتبين له بما لا يدع الشك في قلبه أنه والأجرام السماوية السيارة وكل العوالم من حوله ما هي في حقيقتها إلا خلق مسبح اضطرارا قبل أن يسبح اختيارا لخالق متفرد ذاتا وصفات وأفعالا، وأنه مكلف بعمارة الأرض وإدارتها وفق شرعه الحكيم، حتى إذا حقق ذلك حق له أن ينال رضا الذات العلية ويفوز بولايته وعونه ونصره وأن يتنعم بنعيمه المحض الخالص. فلا يدعي مطلقا كما يدعي من تكدرت فطرته وران على قلبه زبد الهوى والشهوات وتشوهت رؤيته وتصوراته بفعل الشبهات، بأنه إله الأرض يعيث فيها فسادا كما شاء دون رقيب ولا حسيب. قال تعالى:﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا، ذلك ظن الذين كفروا فويل للكافرين من النار، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض﴾(سورة : 227– 28).

ومن ثمرات هذه العقيدة تحرير الإنسان من عبادة غير المعبود بحق وإخلاص العبودية له خوفا ومحبة، التجاء وتضرعا، نداء وتوكلا، شكرا وحمدا...وتخليص القلب من تكبير ما سوى المتكبر العظيم بحق، ومن التعلق بصور الأغيار الفانية ليتمحض تعلقه وانجذابه للحق تعالى ولما أنزله من حق،﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾(يونس : 32).

إنسان العبادة الخالصة: المسلم الحق موقن بأن كل الموجودات سخرت له وخلقت لخدمته، أما هو فخلق لعبادة خالقه عبادة كاملة سليمة من إشراك غيره في أي وجه من أوجهها، لا للانشغال بزينة الحياة والتيه في سبلها المضلة، قال جل ثناؤه: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾(الذاريات : 57– 58).

ولقد تكررفي القرآن الكريم تنبيه الناس بوظيفتهم هذه في عدة سور وبأساليب كثيرهم حتى يفقهوا الأمر ولا يحيدوا عنه، فأكد سبحانه بأن العبادة هي العهد القديم الذي أخذه على بني آدم ، قال تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾(يس : 59– 60)، وأنها هي النداء الأول في خطاب كل الأنبياء والرسل إلى أممهم، قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾(النحل : 36).

والعبادة في عرف الشرع تجمع بين غاية الذل والخضوع لله تعالى مع غاية المحبة له، فلا تتحقق إلا بالاستسلام لشرع الله واتباع أحكامه اقتداء بالطريقة النبوية المسنونة، شريطة أن يصدر هذا الالتزام من قلب متيم بحب الله تعالى(3). فمن أهم خصائصها أنها لا تقتصر كما يظن البعض على إقامة الشعائر الكبرى والأركان الأساسية من صلاة وصيام وزكاة وحج...بل تتعدى ذلك لتشمل كل ما شرعه الله من تشريعات تنظم حياة الإنسان كلها وتضبط تصرفاته جميعها، إنها اسم جامع يسع الحياة كلها بكل مجالاتها ويسع الإنسان في كل جوانب شخصيته.

إنسان الأخلاق والفضائل: المسلم كما يهتم بزينة مظهره وجمال عرضه يهتم أكثر بزينة مخبره ونقاء جوهره، ولا يتم له ذلك إلا إذا تحلى بالأخلاق الفاضلة وتزين بالشيم الحميدة واكتسى بالخصال الجميلة التي تجعل منه عنصرا فاعلا خيرا بانيا، يألف ويؤلف، إيجابيا في تفكيره وتصرفه، يحب لغيره ما يحبه لنفسه من حق وخير بل ويؤثره على نفسه ولو كان به خصاصة.

ولا يمكنه ذلك إلا إذا انتصر على نوازع نفسه وشهواتها حتى تزكو وتتطهر من الأرجاس والنكت السوداء التي تدنس فطرتها النقية، فينتقل بها من مرتبة النفس المريضة الأمارة بالسوء إلى مرتبة الكمال الإنساني حيث يصبح الخير من سجاياها يصدر عنها تلقائيا بغير تكلف.

فبالأخلاق يعرف المسلم الحق من المسلم الذي لم يكتمل بناء شخصيته ولم يتشبع بعد من نور الهدى، قال ﷺ: «من كان يومن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يومن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت».

إنسان الدعوة بالتي هي أحسن: المسلم الحق لا يقف عند حد إصلاح نفسه فقط بل يبذل ما في وسعه لإصلاح غيره ودعوته إلى شرع الله العليم الحكيم، الخبير بصنعته ومفاتيح إصلاحها وإسعادها.

فالدعوة من أولى أولوياته وأحسن وظائفه، قال تعالى: ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ﴾(فصلت : 32)، كما أنها من شروط فلاحه بالنعيم الخالد والرضا الأزلي، قال تعالى: ﴿والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾(سورة العصر).

غير إنها وإن كانت ضرورية فإنها لن تؤتي أكلها الطيب إلا إذا سلك سالكها منهج أولي العزم من الرسل وعلى رأسهم سيد الخلق وخير البارية الذي أتم المنهج وأكمل الرسالة الربانية، واتصف بصفاتهم وتأسى بأفعالهم وسلوكاتهم،قال الحق سبحانه: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾(الأنعام :91).

إنسان العلم والعقلانية المسددة بالوحي: المسلم مطالب قبل الإخبات في محراب العبادة بالعلم، العلم بخالقه وشرعه ومراده من خلقه والعلم بوظيفته ومصيره ....فكان أول أمر رباني نازل من السماء الأمر بالقراءة عن الله وبمنهج الله لتحقيق مراد الله: ﴿اقرأ بسم ربك الذي خلق﴾ كما تكرر التحذير في الخطاب الرباني من اتباع الظن والتخمين العاري من الصحة والتدليل ومن التقليد بغير علم ولا هدى، قال سبحانه في ذم المشركين المقتفين آثار أجدادهم في الغواية والشرك وعبادة الأصنام: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول، قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا، أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ﴾(المائدة : 106).

فبالعقل فضل الإنسان على سائر الخلق، وبه بعد الوحي كرم من رب العالمين، إذ به يهتدي في مجالات كثيرة له سلطان عليها تندرج في عالم الشهادة، فإذا أقحم واستعمل فيما لا سلطان له عليه كعالم الغيب وآفاقه ضل وأضل وتاه وأزل، وهذا ما نبه عليه النبي ﷺ بقوله: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله وتهلكوا».

إنسان العمارة والحضارة: المسلم إنسان العمل وعمارة الأرض وإصلاحها والمساهمة في الحضارة الإنسانية بما يحقق لها الترف المادي والسعادة الحقيقية من مثل وقيم تضمن لكل شرائح المجتمع العيش النبيل والكرامة الآدمية. وما استخلفه الله على أرضه وعلمه الأسماء كلها إلا من أجل الغرض نفسه.

ولا يمكنه ذلك إلا إذا تشبع بالقيم الدينية الداعية إلى المحبة والإخاء والتضامن والسلام...و اغترف من علوم عصره ما يجعله يعيش في مدنية متحضرة تضمن لأهلها وتوفر لهم الضروريات والحاجيات بل وحتى التحسينيات الكفيلة بتحقيق رغد العيش.

فالإسلام لا يهدف إلى تخريج المترهب المنقطع للعبادة في صومعته، المهاجر للخلق، الساكت عن الحق، وإنما غايته إنتاج نماذج كنماذج القرون الأولى الذين كانوا رهبانا بالليل فرسانا بالنهار.

1– لمعرفة المزيد عن معنى الشخصية ارجع إلى معجم الكليات لأبي البقاء الكفوي، والكتب الفلسفية المعاصرة.

2– أشار الدكتور يوسف القرضاوي إلى هذه المواصفات في كتابه : مدخل لمعرفة الإسلام.

3– انظر كتاب"العبادة في الإسلام" للقرضاوي لتبين حقيقة العبادة.

المسألة العلمية في العالم الإسلامي : نظرات في واقع الحال واستشراف المآل

2/1

د. الطيب الوزاني

تقديم :

يتبوأ العلم المرتبة العليا في حياة الأفراد والمجتمعات والدول والأمم، ولا تقوم حضارة إلا على أساس العلم، ولا تسقط إلا بانخرام هذا الأساس، بل إن تطور العلوم أو تخلفها لهو مقياس التحضر والتخلف في أي مجتمع، وهو أيضا مجال التنافس الحضاري، وعليه تقوم الغلبة والهزيمة في الصراع والتنافس بين الأمم والشعوب، ترى ما هو حظ الأمة المسلمة المعاصرة من المسألة العلمية؟ وكيف واقع العلوم وتدريسها في العالم الإسلامي؟ وما هي الآفاق المستقبلية؟

أولا : نظرات في واقع حال المسألة العلمية :

إن الناظر في حال الأمة المسلمة المعاصرة يلحظ بجلاء أن مسيرة التراجع في تاريخ هذه الأمة بدأ يوم تراجع الاهتمام بالعلم، ومال الناس إلى التقليد والجمود، وتغليب الاهتمام بالعلوم الشرعية على حساب بقية مكونات المنظومة العلمية كما أسس لها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، بل إن هذه العلوم الشرعية تم التعامل معها بتغليب التقليد والاجترار والاختصار بدل الاجتهاد والإبداع والتوسيع، إلى أن أفاقت الأمة في اللحظة الحديثة على جيوش الغرب تدك الحصون الخارجية والداخلية للأمة، وبدأت الدهشة والانبهار بالغرب يدبان في نفوس المفكرين من أبناء الأمة، وطفق التدخل الغربي يتسع مداه في رسم الخريطة العلمية والمعرفية للأمة، تصوراً وتوجيها، مضمونا ومنهجا وأساليب، ومؤسسات وهيئات ومخرجات، فما هو واقع العلوم في العالم الإسلامي الحديث والمعاصر؟

1- على مستوى التصور :

يقوم التصور الإسلامي للعلم على اعتباره اللبنة الأولى في بناء الإنسان وتكوينه وتهذيبه وترقيته، كما يقوم التصور الإسلامي على إعطاء الأولوية للعلم الشرعي (العلم بالله، والعلم بأمره) ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق، اقرأ وربّك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم﴾ لأنه لا قيمة لإنسان له علم بالأشياء والمخلوقات، ويجهل الخالق، ولا كرامة للانسان الذي يشرع لنفسه أوامر ويترك أوامر الله وراء ظهره، وقد وقعت الأمة في مسيرتها التاريخية في انحرافين خطيرين على مستوى التصور :

أ- الأول منهما كان لحظة توقف الأمة عن الإبداع وانحسار الاجتهاد والميل إلى التقليد حيث انحرف تصور الأمة للمسألة العلمية إلى علوم الفقه والكلام والجدل فيهما مع ابتغاء سبيل التقليد، والوقوع في فخ الانبهار بالسابقين مما سبب للأمة تراجعا مستمراً آل بها إلى التراجع عن موقعها في الشهادة على العالمين.

ب- الثاني منهما ظهر يوم وقعت الأمة فريسة للاستعمار الغربي وهذا الانحراف كان نتيجة للانحراف الأول، كما كان انحرافاً أخطر لأنه قام على :

● فصل العلوم الدينية عن العلوم الدنيوية، واقصاء الأولى تدريجيا والعناية بالثانية، وقد بدأت هذه التجربة في مختلف أقطار العالم الإسلامي بالتفاوت في بداية القرن التاسع عشر، (في مصر مع محمد علي باشا والطهطاوي وغيرهما، وفي الشام، والدولة العثمانية والقارة الهندية، وايران، والغرب الإسلامي)، وهكذا شهد العالم الإسلامي انحساراً متزايد في الاهتمام بمؤلفات التعليم الشرعي، وزيادة ملحوظة في الاهتمام بتأسيس المدارس العصرية، وتم تكريس الفصام النكد بينهما، وتأسيس صورة مشوهة عن التعليم الإسلامي باعتباره رمز التخلف والماضوية، في مقابل تأسيس صورة إيجابية ومشرقة عن التعليم العصري ومدارسه وآفاقه وقد تسربت هذه اللوثة إلى العالم الإسلامي بسبب التأثر بالتجربة الأوروبية في نهضتها التي انطلقت انطلاقة علمانية.

● الفصل بين العلم والأخلاق : إضافة إلى ذلك الفصام النكد بين العلوم الشرعية والعلوم الدنيوية التي ظهرت في القرن التاسع عشر، فإنه ظهر في القرن العشرين فصام آخر بين العلم والأخلاق، وهو نتيجة طبيعية وحتمية للفصام الأول، لأن العلم الذي تنقطع صلته بدين الله وأوامره وتوجيهاته لابد أن يفقد الأخلاق، ويفقد بوصلة التوجيه الخلقي، وتجلت هذه القطيعة بين العلم والأخلاق في تهميش حصص مواد التربية الخلقية والإسلامية من المقررات المدرسية وتقليصها تدريجيا حتى صارت كثير من المؤسسات العلمية والمعاهد التقنية والمهنية لا تدرج في مقرراتها مواد شرعية، وتربوية، ولا أدل على ذلك أن كثيرا من الوزارات المسؤولة عن قطاع التعليم اتخذت في العالم الإسلامي أسماء تدل على هذا الفصام والتغييب : مثل تسمية وزارة المعارف، أو وزارة التعليم، وحتى البلدان التي ربطت بين التعليم والتربية، ظل هذا الاقتران مجرد شعار سياسي أجوف و فارغاً، إذ لم يرق إلى مستوى إنصاف التربية الإسلامية والخلقية وإبراز دورها في تنشئة الفرد المسلم تنشئة متوازية تجمع بين العلم والتقوى، وبين المعرفة والأخلاق. فكان من نتائج هذا الفصام الثاني هذه الأجيال الضائعة التائهة الحاقدة على أوطانها ومسؤوليها، الرامية بنفسها في أحضان الجريمة والانحراف والهجرة.

2- على مستوى علاقات العلم بالسياسة :

خضع العلم في مسيرته التاريخية في الغرب الحديث لتوجيه السياسة، وتلون بتلونها، فكما كانت السياسة علمانية مادية نفعية، صار العلم الغربي كذلك، حيث توجه توجها ماديا (البحث في المادة الحية والجامدة والتوقف عند مظاهرها) والاقتصار على العلوم الأكثر نفعا وجلبا للرفاهية والربح، وفي العالم الإسلامي خضع تصور العلم ومؤسساته لما هو سياسي، وقد تخلقت نواة ذلك مع بداية حركة الإصلاح التي عرفها العالم الإسلامي الحديث، وازداد توسعا مع المرحلة الاستعمارية، وترسخت معالمه واستقرت مع بداية الاستقلالات التي شهدها المنتصف الثاني للقرن العشرين إلى الآن، ويمكن إبراز حجم التدخل السياسي في توجيه العلم في النقاط التالية :

أ- استمرار حضور التدخل القوي للغرب في برمجة مقررات العلوم والتعليم في العالم الاسلامي، ومراقبة مؤسساته، وإملاء شروطه في الإصلاحات التعليمية، وهي برامج ومقررات ذات صيغة سياسية علمانية تخدم التصور الغربي ومصالحه السياسية والفكرية والاقتصادية من قبيل تشجيع المدارس الأجنبية، ومعاهد التعليم التقني وتشجيع تدريس الفنون والآداب الغربية، ولغاتها على حساب اللغة العربية، كما يظهر خطر هذا التدخل في فرض الرقابة الشديدة على تدريس هذه العلوم وتطويرها بمقدار لا يسمح للبلدان الإسلامية بامتلاك العلوم المادية الحقة الكفيلة بنقلها من الضعف إلى التوازن الحضاري (التكنولوجيا الحديثة، العلوم النووية، والبيولوجية الدقيقة...) مما يوضح بجلاء خطورة التدخل الغربي في إملاء شروطه السياسية في رسم خريطة للعلوم والتعليم الكفيلة بخدمة أغراضه لا خدمة أغراض الأمة المسلمة في مختلف أقطارها.

ب- ضعف حجم حضور المسألة العلمية في برامج الأنظمة الحاكمة ومؤسساته السياية وهيآته المدنية : ذلك أن ضعف الأقطار الإسلامية وخضوعها للدول الغربية وتبعيتها ساهم في تشكيل وعي لدى النخب السياسية بأن حفاظها على مناصبها والارتقاء فيها رهين بمدى إرضاء الغرب لذلك غلب على هذه الأنظمة والأحزاب والنقابات تغييب المسألة العلمية في صورتها الإسلامية المنشودة، أو في صورتها الحقيقية التي توازي واقعها وقيمتها في الغرب، وحتى الميزانية المرصودة للبحث العلمي ولقطاع التعليم ضعيفة جدا بالمقارنة مع الميزانية المرصودة لقطاعات أخرى، في مقابل ذلك تركز برامج الأحزاب، والهيآت السياسية على المطالب المادية والاستهلاكية والترفيهية.

إن ضعف الأقطار الإسلامية وخضوعها للدول الغربية وتبعيتها ساهم في تشكيل وعي لدى النخب السياسية بأن حفاظها على مناصبها والارتقاء فيها رهين بمدى إرضاء الغرب لذلك غلب على هذه الأنظمة والأحزاب والنقابات تغييب المسألة العلمية في صورتها الإسلامية المنشودة، أو في صورتها الحقيقية التي توازي واقعها وقيمتها في الغرب، وحتى الميزانية المرصودة للبحث العلمي ولقطاع التعليم ضعيفة جدا بالمقارنة مع الميزانية المرصودة لقطاعات أخرى، في مقابل ذلك تركز برامج الأحزاب، والهيآت السياسية على المطالب المادية والاستهلاكية والترفيهية

وبسبب هذا كادت دول العالم الإسلامي أن تفقد الأمل في وجود مخططات استراتيجية لمعالجة المسألة العلمية والتعليمية معالجة إسلامية وشمولية ومتوازنة تحقق للأمة عزتها وترفعها إلى مقام التوازن الدولي إن لم نقل التفوق والريادة.

3- على مستوى المضمون والمنهج والطرائق والأساليب :

إذا أخذنا بعين الاعتبار الملاحظتين السابقتين المتعلقتين بالانحراف في تصور المسألة العلمية، وبتدخل السياسي في صياغة العلمي على مقاسه يتبين لنا بجلاء طبيعة المضامين العلمية التي تسود في العالم الإسلامي ومناهج تحصيلها وطرائق تقديمها وأساليبها. فقد أصبح مضمون العلوم لا يتلاءم مع خصوصية الأمة ولا يستجيب لمتطلباتها وتطلعاتها لأسباب منها ما سبق ذكره في الملاحظتين السابقتين ومنها ما يرجع إلى :

● تخلفه عن مسايرة ومواكبة المستجدات العلمية، إذ أغلب العلوم لازالت تدرّس حقائق علمية من القرن 18 والتاسع عشر، وفي أحسن الأحوال بدايات القرن العشرين (الفيزياء الفلك، الطب البيولوجيا الكيماء الرياضيات).

● الاقتصار على تدريس العلوم التقنية والمهنية الكفيلة بتكوين خبراء مهنيين وعمال ذوي خبرة وكفاءة علمية وعملية تسد حاجة المؤسسات الاقتصادية الكبرى، وبالتالي يمكن القول إجمالا إن المضمون العلمي المدرس، يتسم بسمتين كبيرتين : سمة التخلف عن مستوى التطور العلمي، وسمة الاستهلاكية والنفعية المرتهنة بمطالب المؤسسات الاقتصادية وليس بمطالب الأمة الحقيقية.

وفيما يخص المنهج وطرائق التدريس وأساليبه يلاحظ أنها مستوردة مثلها في ذلك مثل المضامين، لذلك تجد أغلب مؤسسات التكوين العلمي تتنافس فيما بينها في استيراد النماذج النظرية والمنهجية التي ظهرت في المدارس الغربية، وتطبيقها في المؤسسات التعليمية بدون اعتبار خصوصيتها النظرية ولا نسبيتها المعرفية ولا خصوصية الواقع المراد تطبيقها فيه وعليه، ولا تكلف نفسها عناء فحصها وانتقادها ومراجعتها وتطويرها مما يؤثر سلبا على القدرات الإبداعية للمكوّنين ويجعل المتعلم في بلدان العالم مجالاً لحقل تجارب!!

مجرد رأي

أي إصلاح لأي منظومة تعليمية؟

ذ. عبد القادر لوكيلي

... بالرغم من كل المحاولات المتكررة من أجل إصلاح المنظومة التربوية التعليمية في بلادنا، وبالرغم من كل هذا الكم الهائل من المنا ظرات والتشريعات والبرامج الاستعجالية لإصلاح هذه المنظومة فلازالت تستعصي على الحل ولازالت تعاني من تفاقم الهشاشة والضعف والقصور وما شئت من ألفاظ الفشل والسقوط....

وعلامات ذلك بادية لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فآخر دراسة أنجزت في الموضوع تقول بأن أزيد من 60٪ من تلامذة الابتدائي والإعدادي لا يُتقنون العمليات الأربعة ومستواهم ضعيف في اللغة العربية ومتدني في اللغة الفرنسية، ناهيك عن أن مدارسنا وجامعاتنا -ما شاء الله- أصبحت تتنافس في تخريج العاطلين والعاطلات والفاشلين والفاشلات إلاّ ما نذر.

أما أسباب هذا التردي فمتعددة ومتشعبة، والمسؤولية عنه يقتسمها الجميع بنسب متفاوتة. وعلى رأس هذا الجميع ثلة من التفنوقراط لا قبل لهم بالممارسة التعليمية و مع ذلك أُسندت لهم مهمة التنظير والتخطيط لهذا المجال الحيوي. فراحوا قبل المشرق والمغرب يبحثون عن تجارب ونماذج تعليمية تربوية طبقوها على أبنائنا وبناتنا في المدارس تماما كما يُطبق أي عالم فاشل تجاربه على فئران بئيسة في مُختبر أكثر بؤسا.

هي تجارب ربما تكون ناجحة في بيئتها الأصلية لتوفر أسباب نجاحها ولتماشيها مع المنظومة الأخلاقية والسوسيوثقافية لتلك البيئة، وبالتالي عندما طبقت عندنا أنتجت كوارث تربوية وأخلاقية لاقبل لنا بها وربما بشكل أفضع مما أنتجته في بيئتها الأصلية.. ذلك أن مثل هذه التجارب المستوردة كمثل ﴿شجرة خبيثة أجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾، فكانت ثمارها أجيال من المقلدين والإمعات وعديمي الضمير وفاقدي الجدية والحزم في التحصيل والتعلم؛ كل همهم تقليد أعمى لكل من دب وهب من الفنانين والممثلين الأحياء منهم والأموات.

فلا غرابة والحالة هاته أن ترى جموعا من المخنثين والمرجلات أمام بوابات المدارس في وضعيات مخجلة، بشعور منفوشة على أشكال القنافيد والديكة ملونة ومزركشة بشتى الألوان يذكرونك بالهنود الحمر أو قبائل (الزولو إنكاطا) في أدغال افريقيا، أقراط ملونة وسلاسل وتمائم معلقة في الأعناق وسراويل هابطة لما تحت الحزام تكنس جميع قاذورات الشوارع المجاورة، كل هذا المسخ ينضاف إليه آفة تعاطي المخدرات بكل أصنافها من حبوب مهلوسة إلى الخمور والحشيش مروراً بالشيرة والكيف ومالا يعلمه إلا الراسخون في الانحراف والانحدار. كل هذه الموبقات تباع وتشترى نهاراً جهاراً أمام بوابات المدارس والإعداديات وقيل حتى المَدارس الابتدائية والعهدة على الراوي.

ولك أن تتصور عزيزي القارئ مستوى الانضباط والتحصيل عند أمثال هؤلاء.... فلا مستوى ولا رغبة ولا اهتمام ولا طموح ولا احترام لا للمدرسة ولا للمدرسين والإداريين والناس أجمعين.

فبالله عليكم فأي تعليم وأي توجيه يمكن أن يتم في ظروف كهاته؟ وأي برامج أو مقررات يمكن تمريرها في فوضى تربوية كهاته؟ إن ضروفا لا تربوية كهاته لا يمكن أن توفر عملية تربوية تعليمية ناجحة مهما وفرت لها أسباب النجاح من أساتذة أكفاء وقاعات نظيفة وشكليات أخرى.

وأنا أعطي هذه الصورة السوداوية على واقع المدرسة المغربية أنوه إلى أن ذلك لا يشكل ظاهرة عامة بل هناك استثناءات وهناك تلاميذ وتلميذات في غاية التأدب والاحترام والحرص والمثابرة إلا أن تقاسمهم نفس الفصل مع الفاشلين والمشاغبين يفوت عليهم فرص التحصيل والتركيز والاهتمام، فيصبحوا بدورهم ضحايا هذه الفوضى والتسيب.

ما أريد أن أقوله من خلال هذا الكلام هو أن بداية الحل ينبغي أن تبدأ من هنا، أي من محاربة هذه الظواهر الشادة بالشدة والقسوة والتوجيه اللازم :

- فإصلاح أخلاق المتمدرسين أولى من إصلاح الأقسام وبوابات المدارس.
- وربط المتمدرسين بدينهم وعقيدتهم السمحاء بأسلوب جذاب ومرن أولى عندي من ربط المدرسة بمحيطها الاقتصادي.
- وغرس قيم حب العلم والاحترام والأخلاق آكد عندي من غرس المزيد من الأشجار حول البنايات المدرسية لأن مآلها إلى زوال على أيدي مراهقين "صُيّع" لا أخلاق لهم ولا ذوق رفيع....

إصدارات

صدر عن للأستاذ أبي عبد الغني أحمد بن احساين الوردي مدير معهد الإمام مالك بتروال كتاب جديد تحت عنوان :

" الخلاف : آدابه وأسبابه"

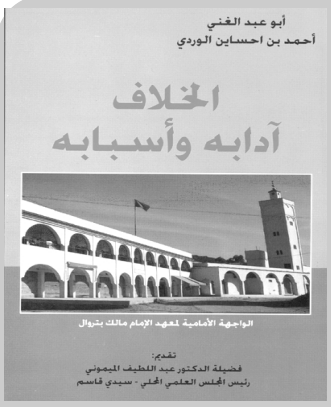

وهو كتاب يهدف إلى معالجة مشكلات التعصب المذهبي الناتجة عن سوء فهم أتباع المذاهب لاختلافات أرباب الخلاف، من زاوية إعادة إحياء فقه الخلاف والائتلاف وآداب الحوار والمناظرة، فيبين في هذا السياق مفهوم الخلاف وأنواعه المحمود منها والمذموم، كما يبين بدايات ظهور الخلاف بين المسلمين منذ عهد الرسول ﷺ وما بعده وكيف تمت معالجة ذالك بانتهاج مسلك المعرفة بأسباب الخلاف، والتأدب بآداب الخلاف مع المخالف لإطفاء نار فتن الفرقة بين المسلمين.

التوكل على الله من صفات المؤمنين

الطالب : علي السباع

قال الله تعالى : ﴿الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المومنون﴾(التغابن : 12).

﴿الله لا إله إلا هو﴾ هو الإيمان وهو المنطلق الأساس. ولكن البرهان على استقرار هذا هو التوكل على الله. لأن التوكل على الله عز وجل ليس شعارا يرفع، وإنما هو نتيجة طبيعية لليقين في الله عز وجل.

فالذي يعلم أنه محكوم بإله عدل، يدبر أمره ويدافع عنه فإنه يثق بالله عز وجل. والمتوكل على الله هو الواثق به. إن الذي يثق بالله عالم بقدرته وبرحمته ولا يمكنه أن يستند إلا إليه.

لكن الذي يتصور أن الله لا ينصره، وأن الله يمكن أن يخذله أو يسلمه، هو الذي يبحث عن آخرين ويطمئن إلى آخرين.

■ الثقة بالله عنصر أساسي في التوكل على الله :

فالله سبحانه وتعالى أراد لنا أن نكون عليه متوكلين، قال تعالى : ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مومنين﴾(المائدة : 24).

إذن إن زعمتم أنكم مومنين فإن إيمانكم يقتضي منكم أن تكونوا معتمدين عليه، فالتوكل على الله سبحانه وتعالى دائما ناشئ عن اعتقاد الإنسان في الله. فمن حسُنَ إيمانه بالله توكل عليه ومن ضعف إيمانه بالله لم يتوكل عليه.

والله يريد أن تكون عبدا له، فلذلك دعاك أن تتوكل عليه في كل أمورك وقال إنك إن أحسنتَ التوكل عليه أحسنتُ الدفاع عنك، وكفيتك كل شيء. وهذا التزام من الله تعالى حينما يقول : ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾(الطلاق : 2) أي كافيه لا يحتاج وكيلا آخر.

■ التوكل على الله عز وجل شرف واللجوء لغيرة حطة وذل.

وبناء على هذا فالتوكل على الله عز وجل شرف للإنسان من جهة أنه يربط الإنسان بالله ولا يربطه بالمخلوقات، والفرق كبير، بين أن يكون الإنسان متعلقا بالمخلوقات وبين أن يكون متعلقا بالخالق.

إنك حين تتعلق بالخالق وتلجأ إليه، وتلقي ثقلك ببابه وتشكو إليه ما ضرك ونابك، فإنه لا يردك. بل إن الله تعالى يغضب من العبد الذي لا يطلبه ولا يسأله، والعبد على النقيض من ذلك. إن العبد يغضب إذا سألته. إن العبد قد يجاملك يوما فيعطيك ويعطيك لكنك إن أكثرت السؤال رفضك وملّك.

لو كنت تمر كل يوم بإنسان وهو جالس على كومة من التراب فتقول له يا فلان امنحني حفنة من تراب، فيقول الأمر هين، خذ لك حفنة تراب، وقد يعطيك هو إياها بنفسه، وهو مستبشر وتمر به الغد وتقول له أعطني أخرى فيعطيكها وهو أقل استبشارا من الأمس وتمر به في المرة الثالثة والرابعة... فيقول لك لقد أتعبتني وأزعجتني وقد مللت من سؤالك المتكرر رغم كونه لا يعطيك إلا التراب. وصدق الشاعر إذ يقول :

ولو سُئِل الناس التراب لأوشكوا
إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

أي لو سألت الناس التراب لملوا ومنعوك التراب. لكن الله تعالى يغضب إن لم تسأله. والفرق بين العبد والرب سبحانه كبير. بين أن تلجأ إلى من أبوابه مفتوحة وبين أن تسأل من إذا طرقت بابه قال لك خادمه، إن سيدي نائم، ارجع غدا لعلك تجده يقظان.

نستنتج أن اللجوء إلى الله شرف، واللجوء إلى الإنسان حطة وذل ووضاعة. لذلك أرادك الله تعالى أن تلجأ إليه وأن تفوض أمرك إليه، ثم إنه بقدر ما ينقطع توكلك على الانسان يفتق الله فيك المواهب وتظهر طاقتك المودعة فيك. قال الشاعر :

لاتسألن بني آدم حاجة
وسل الذي أبوابه لا تُحْجَبُ
الله يغضب إن تركت سؤاله
وابن آدم حين يسأل يغضب

ميزان الاعتـــــــدال :

ذ. بوعلي -الداخلة

-روى البخاري في صحيحه عن حميد بن أبي حميد الطويل أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول:جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا :وأين نحن من النبي ﷺ، قد غفرله ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، قال أحدهم:أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر:أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر:أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال:أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني ".

تلك حقيقة الإسلام، لا موضع فيه، ولا موقع للتنطع، ولا للرهبانية، إنه دين القوي والضعيف، دين يدبر شؤون العزائم الشامخة فيحفظها من غير سرف ولا تقتير، ويأخذ بثنايا الإرادة الضعيفة منشدا بها القمم السامقة من غير إجحاف، ممتثلا قول المصطفى ﷺ"إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى" أخرجه ابن المبارك في كتاب: الزهد ص : 469، والبيهقي 3 / 19.

وما كان أمر هذا الدين كذلك إلا لأنه أريد له أن يكون خاتمة الأديان، وسر إعجازه في ذلك.

إن قرار هؤلاء النفر «بترك النوم وترك الطعام وترك الزواج» هي قرارات شملت جوانب الحياة البشرية مما يدل في رفض النبي ﷺ لها جملة وتفصيلا على أن عموم الحياة دينا ودنيا لا تقبل، ولا محل فيها للرهبانية والمغالاة، والتطرف، لأن ذلك كله اعتراض سافر على سنة الله تعالى في هذا الكون وتعطيل لها بصورة غير مباشرة.

ألا وحفظ الاعتدال والثبات عليه ما كان بالأمر الهين، وقد صح أن أعرابيا سأل النبي ﷺ مافرض الله عليه من صيام، وصلاة، وزكاة... فلما أخبر فقال : والله لا أزيد عليها ولا أنقص، فعلق المصطفى ﷺ على ذلك بقوله "أفلح إن صدق"أخرجه البخاري برقم44، ومسلم، كلاهما من حديث إسماعيل بن جعفر.

كما أن الأخذ بالتشديد في أمر الدين مخالف، بل معترض لأمر الله الذي في صريح الكتاب والسنة، أليس الله تعالى هو القائل ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا﴾ وقد نهى عن التشدد فقال ﷺ «...ومن رغب عن سنتي فليس مني».

وروى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» باب :الدين يسر1/69 حديث38.

فأين الكثير من شبابنا اليوم ممن يشادون دينهم فيكون مصيرهم الفشل الذريع، فما أكثر من كان تشدده سببا في فشل حياته الزوجية، وعلاقاته الاجتماعية، وعاشوا أمراضا نفسية مزمنة، مع معاناة العزلة، والتهميش....

ففي صحيح مسلم من حديث سعد قال «رد على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا» رقم الحديث2489 وعثمان هذا من النفر الذين تقالوا عبادة رسول الله ﷺ.

"ورد عليه التبتل" معناه:نهاه عنه، والتبتل هو:الانقطاع عَن النِّسَاء، وَتَرْك النِّكَاح انقطاعا إلى عِبَادَة اللَّه.

وأصل التبتل: القطع، ومنه مريم البتول، وفاطمة البتول؛ لانقطاعهما عن نساء زمانهما دينا وفضلا ورغبة في الآخرة وَمِنْهُ : صَدَقَة بَتْلَة، أَيْ : منقطعة عن تصرف مَالكهَا.

قال الطبري: التبتل هو: ترك لذات الدنيا، وشهواتها، والانقطاع إلى الله تعالى بالتفرغ لعبادته.

ومعنى الحديث: لوأذن له في الانقطاع عن النساء، وغيرهن من ملاذ الدنيا لاختصينا لدفع شهوة النساء -التي هي فطرة في بني آدم، إذبها تتحقق عمارة الأرض- ليمكننا التبتل، وهذا محمول على أنهم كانوا يظنون جواز الاختصاء باجتهادهم، ولم يكن ظنهم هذا موافقا للصواب، فإن الاختصاء في الآدمي حرام صغيرا كان أو كبيرا.

قال البغوي: وكذا يحرم خصاء كل حيوان لا يؤكل، وأما المأكول فيجوز خصاؤه في صغره، ويحرم في كبره. والله أعلم.

قداسة الأرض وقداسة الدعوة وقداسة المقاومة

د. إبراهيم زيد الكيلاني

شاء الله أن تكون بلاد الشام -الأرض المباركة- شاملة لفلسطين والقدس الشريف والأردن ممتدة إلى سوريا ولبنان وسيناء التي باركها الله بالأنبياء والرسالات التي أنزلها الله على رسله لتكون مهبط الوحي وموطن الأنبياء وأرض الدعوة والجهاد.

وهذا ما جعل النبي ﷺ يتوجه إلى مسجدها الأقصى قبلة أولى، ويختارها الله من بين بقاع الأرض مسرى لنبيه ومنطلقاً لمعراجه، وجعل مسجدها الأقصى -كالمسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي في المدينة المنورة- تشد إليه الرحال.

المسجد الأقصى وفريضة الجهاد لتحريره:

وكانت غزوة مؤتة التي وقعت في شهر جمادى من السنة الثامنة للهجرة البداية الأولى لتحرير بلاد الشام، وشاء الله أن تضم رفات القادة: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبدالله بن رواحة، وإخوانهم من الصحابة الذين شهدوا الغزوة واستشهدوا على أرضها، ثم كانت معركة اليرموك التي حشد فيها (هرقل) ملك الروم ما يزيد على مئتي ألف مقاتل، لينتصر عليهم ثلاثون ألفاً من جند الإيمان بقيادة خالد بن الوليد وأبي عبيدة، ومعهم من خيرة الصحابة: عكرمة بن أبي جهل -الذي بايعه أربعمئة من المجاهدين على الموت وتمكن من تحطيم قلب الجيش الروماني- وأبوسفيان الذي كان صوته مدوياً أثناء القتال: "يا نصر الله اقترب"؛ ليزيد المؤمنين إيماناً وثباتاً. ويذكر المؤرخون من الغرب والشرق، أن معركة اليرموك كانت أعظم معركة في التاريخ، لما ترتب عليها من نتائج وآثار حولت بلاد الشام كلها من النصرانية وحكم الروم، إلى الإسلام وحكم القرآن.

وقد استمرت المعركة ثلاثة أيام، طلب الروم في اليوم الثالث الهدنة، فرفض خالد، وأمر الجند أن يضاعفوا من قتالهم ويتحولوا من موقف الدفاع إلى الهجوم، فأنهك الجيش الرومي وهزم شر هزيمة، ونادى (هرقل) بعدها: أنعي إليكم النصرانية

فتح المسجد الأقصى والقدس الشريف.

وبعد انتصار اليرموك تحول المسلمون إلى القدس الشريف فحاصرها وفتحها الخليفة عمر بن الخطاب وتسلم مفاتيحها، ولم يحضر عمر لفتح أية مدينة إلا للقدس الشريف؛ تكريماً لها وإعلاناً لمكانتها وقدسيتها في قلوب المؤمنين.

يذكر ابن جرير الطبري أن عمر رضي الله عنه بعد أن وقّع (العهدة العمرية) لـ(صفرنيوس) البطريرك الذي سلّمه مفاتيح المدينة وأمّنه عمر رضي الله عنه توجه إلى المسجد الأقصى المبارك الذي كان الرومان قد حولوه إلى مكان يجمعون فيه أوساخ المدينة وفضلاتها، ودخل عمر باب الأقصى حبواً من كثرة ما تجمع على بابه من أوساخ، ثم بدأ مع الصحابة الفاتحين في عملية تنظيف وتطهير للمسجد، حتى يعيدوه لسابق عهده في عبادة الله وحده..

وصلى عمر رضي الله عنه في الجند الفاتحين صلاة العشاء جماعة داخل المسجد الأقصى وذهب الجند للراحة والنوم، وبقي عمر وحده في المسجد قائماً وراكعاً وساجداً، يريد أن يجدد عهده في عبادة الله وحده، ومع الفجر حضر الجند ليصلي بهم عمر صلاة الفجر، وقرأ في الركعة الأولى سورة الإسراء التي تذكر باختيار الله هذا المسجد مسرى لنبيه، وفساد بني إسرائيل وكيف عاقبهم الله بأن شردهم في البلاد، ليأخذ المسلمون الدرس أن يحافظوا على القدس وعلى الدعوة حتى لا يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل من هلاك وتعذيب.

وقرأ في الركعة الثانية سورة (ص) التي ذكر الله فيها داود وسليمان عليهما السلام، ليُذكّر بأن محمداً ﷺ وأمته هم ورثة الأنبياء، الأمناء على رسالتهم التي خانها بنو إسرائيل؛ فقتلوا الأنبياء والعلماء، وأفسدوا في الأرض إفساداً كبيراً.

وهذا ما نبَّه القرآن الكريم إليه بقوله في سورة البقرة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(البقرة:114).

قال العلماء: ومن المقصود بمساجد الله في الآية: المسجد الأقصى الذي خربه اليهود والرومان، وعطّلوه عن رسالته في عبادة الله وحده والدعوة إلى الله، وقتلوا الأنبياء والعلماء والدعاة إلى الله في هذه الأرض المباركة.

وفي الآية أن غير المسلمين لا يدخلون هذه الأرض إلا بإذن من المسلمين يزيل خوفهم، وأن السيادة على هذه الأرض المقدسة للمسلمين وحدهم، وهم حملة الدعوة والحافظون لرسالة الله.

كيف وقع المسجد الأقصى في الأسر سنة (1967م)؟

حين فصل حكام المسلمين بين الدعوة والأرض والجهاد، وأعلنوا حربهم لتحرير فلسطين فاقدة لهويتها الإسلامية، وكانوا من قبل قد قتلوا العلماء وسجنوهم ونكّلوا برجال الدعوة الإسلامية، وأعادوا سيرة بني إسرائيل في قتل العلماء وحرب الدعاة، وكان شعارهم في المعركة: "لأجل الربيع ولأجل الحياة ولأجل عشاق الحياة اضرب"!!! ووزعوا على الجيش المصري أكثر من مئة ألف صورة للراقصة (كاريوكا) وغيرها؛ فكانت الهزيمة الساحقة الماحقة التي كشفت جهل القيادة بأمر القتال، وجهلها بأمر الله، واجتراءها على حرمات الله.

من علماء فلسطين الذين شعروا بالهزيمة قبل وقوعها:

وأذكر أنني كنت في زيارة للمسجد الأقصى المبارك قبل النكبة بأشهر، وكنت في ضيافة صديقي الشيخ أسعد بيوض التميمي رحمه الله، ففاجأني بقوله ونحن قرب قبة الصخرة المشرفة: صلِّ يا إبراهيم صلاة مودِّع؛ فإن المؤامرة على القدس قريبة!

وحين سأله أحد المسؤولين في الأردن: كيف عرفت نتيجة المعركة قبل وقوعها؟! قال: **لقد علّمنا ربنا في كتابه أن نصره لا يتنزل على من حاربوا دين الله، وعطّلوا أحكام الله، وإذا عصاني من عرفني سلطت عليه من لا يعرفني.**

وأذكر أن جماعة من المنتسبين لـ(المنظمة) قبل النكبة اجتمعوا على جبل الزيتون في القدس، وقرروا بتصويت أجروه أن قضية فلسطين ليست إسلامية، وكان ممن أنكر عليهم الشيخ أسعد رحمه الله، وقال في إحدى خطبه: تعال يا صلاح الدين من خلف القرون، واسمع ما قاله الصبية على جبل الزيتون!!

عودة جديدة إلى الله:

وبدأ علماء فلسطين يعدون الأمة للجهاد تحت راية الإسلام، وكان رجال الحركة الإسلامية بقيادة العالم المجاهد أحمد ياسين وإخوانه لتكون قلعة المقاومة والجهاد في غزة حصناً عظيماً وبداية مباركة للتحرير جمعت بين قداسة الأرض وقداسة الدعوة.

نقول لرجال الدعوة: إن خطاب الله لموسى عليه السلام: ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ هو تذكير لورثة عهد محمد ﷺ أن يكونوا الرجال المباركين الذين يحملون رسالة الله؛ ليجدوا بركة الدعوة، وبركة المقاومة، وبركة الجهاد، ويجدوا قبس الهداية الإلهية في الدعوة والجهاد التي آتاها الله محمداً ﷺ وأصحابه

وشاء الله أن يفضح أمر الخونة الذين يأتمرون بأمر (دايتون) و(الموساد) والمخابرات الأمريكية في حراسة أمن (إسرائيل) في الضفة المحتلة، ليقتلوا قادة المقاومة ويخدموا أهداف العدو الصهيوني في ملاحقة هؤلاء القادة في الخليل وقلقيلية ونابلس وغيرها، ويقتلوهم بدم بارد تنفيذاً لأمر (دايتون) و(الموساد)!!

وهذا ما جعل أهلنا في فلسطين كلها يتوجهون لقادة الدعوة الإسلامية يعطونهم الثقة ويبايعونهم على الجهاد والمقاومة.

الأرض المباركة وحفظة القرآن الكريم:

وهنا نجد أن خمسة آلاف حافظ للقرآن الكريم كانوا من أبطال المقاومة في غزة، وتمكنوا من قهر الجيش (الإسرائيلي) ومنعه من دخول غزة الذي خطط لاحتلالها ليسلمها للعملاء الذين يحرسون أمنه، ويحرسون مصالحهم ورتبهم ورواتبهم.. وأن المعركة انتقلت من الأنظمة وجيوشها إلى الشعوب المقاومة المجاهدة ممثلة بحركات المقاومة الإسلامية التي جمعت بين الولاء لله ودعوته، وبين الوفاء للأرض وتحريرها.

وقفة مع آيات في سورة النمل:

وهنا يحسن التذكير بما ذكره القرآن الكريم عن الأرض المباركة أرض الأنبياء والرسالة والدعوة لنجد أمة القرآن الكريم الوارثة لرسالات الأنبياء المؤهلة وحدها للدفاع عن الأرض والدفاع عن الدعوة.

قال تعالى في سورة النمل: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ . إِذْ قَالَ مُوسَى لأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(النمل: 6- 8).

قال الإمام الزمخشري وهو يربط بين الآية الأولى وما بعدها: وإنك لتؤتى القرآن وتلقنه من عند أيّ (حكيم) وأيّ (عليم). وهذا معنى مجيئهما نكرتين، وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه.. ومعنى ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ : بورك من في مكان النار، ومن حول مكانها. ومكانها: البقعة التي استقبل فيها موسى عليه السلام نداء الدعوة والتكليف بالرسالة وتكليم الله له، وهذه البركة تعني حدوث أمر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له وإظهار المعجزات عليه، وربَّ خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله ذلك الخير في أقاصيها ويبث آثار يُمنه في أباعدها، فكيف بمثل ذلك الأمر العظيم الذي جرى في تلك البقعة؟! وقيل: المبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون. والظاهر أنه عامٌّ في كل من كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادي وحواليها من أرض الشام.

ولقد جعل الله أرض الشام بالبركات موسومة في قوله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء :71). وقد ذكر الله هذه الأرض بقوله: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ (القصص :30).

وهذه أرض الشام مبعث الأنبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي إليهم وكفاتهم (التي تضمهم) أحياءً وأمواتاً.

ومن لطائف الآية أن الله ابتدأ موسى عليه السلام حين مجيئه ليرى النار بقوله: ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ليبشره بأنه قد قضى بأمر عظيم تنتشر منه في أرض الشام كلها البركة.

قال العلماء: بوركت النار، والذي بوركت له البقعة، وبورك من فيها وحواليها حدوث أمر ديني فيها، وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له وإظهار المعجزات عليه.

﴿وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك، وإيذان بأن ذلك الأمر مُريده ومُكوِّنه رب العالمين؛ تنبيهاً على أن الكائن من جلائل الأمور وعظائم الشؤون.

وفي ختام هذه الآيات نقف لنقول لرجال الدعوة: إن خطاب الله لموسى عليه السلام : ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ هو تذكير لورثة عهد محمد ﷺ أن يكونوا الرجال المباركين الذين يحملون رسالة الله؛ ليجدوا بركة الدعوة، وبركة المقاومة، وبركة الجهاد، ويجدوا قبس الهداية الإلهية في الدعوة والجهاد التي آتاها الله محمداً ﷺ وأصحابه : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾(الفتح :29).

استعمالات اللغة العربية الجديدة إلى أين؟

7— الاستعمالات الخاطئة تفقد اللغة قيمتها التعبيرية :

المقاربة وما يقصد بها في الاستعمالات الجديدة (3 - أ)

د. الحسين گنوان

توصلنا في الحلقة الماضية (2) التي ناقشنا فيها دلالة (ق-ر-ب) المعجمية في العدد 323 من المحجة إلى أنّ المعنى العام المستخلص من جميع أوجه دلالة هذه المادة (ق-ر-ب) هو قصر المسافة بين أمرين حسيا، أو معنوياً، وذلك ما لخّصه ابن منظور بقوله : «القرب : نقيض البعد»، ولا حظنا أنّ هذا المعنى لا يتناسب مع معنى أي استعمال من الاستعمالات الجديدة لكلمة «المقاربة» في السياقات التي تستعمل فيها.

وفي هذه الحلقة نناقش هذه المسألة من وجهة نظر التصريف، وهو العنصر الثاني من العناصر المقترحة لمناقشة دلالة كلمة «المقاربة»، فبخصوص دلالة هذه الكلمة يلاحظ أن المعتبر في ضبط دلالتها هو أصلها وهو «قارب على وزن فاعل، وهذه الصيغة مشتقة من (ق-ر-ب) التي ناقشنا دلالتها مزيدة بحرف واحد هو الألف بعد القاف، وعليه ف(ق-رِ-ب) المجردة صارت بعد الزيادة : (ق+(ا)+رب). وبهذا الخصوص يقال بأن الزيادة في المبنى أي عدد أحرف الكلمة يودي إلى الزيادة في المعنى، وإن كان الأصوب الذي ينبغي أن يقال : **هو أن الزيادة في المبنى يؤدي إلى تنويع المعنى**، لأن هذا هو الغالب في هذه القاعدة، ولا يتسع المقام للأمثلة، وعليه فالكلمة المزيدة (قارب) على وزن فاعَل ينبغي أن يكون لها معنى آخر غير الذي دلت عليه (قرب) مجردة، وهذا المعنى الجديد يدخل في نطاق القاعدة المشار إليها : (الزيادة في المبنى يودي إلى الزيادة في المعنى أو تنويعه، وذلك مثل كتب مجردة وكتّبَ بتشديد حرف التاء ولعب مجردة ولاعب مزيدة بالألف بعد الحرف الأول، على الأصل، فلوْ ركّبْنا الكلمتين المشار إليهما في جملتين، بحيث تكون في إحداهما مجردة، وفي الثانية مزيدة لتبين الفرق بين دلالتي الكلمة المجردة المزيدة، وذلك مثل : كتَبَ التلميذُ الدرسَ، وكتب المعلمُ التلميذَ الدرسَ، ولعب الولد الكرة، ولاعب الولدُ القطة... وكذلك الحال بين معنى (قرب) مجردة، و(قارب) مزيدة بالألف، التي نحن بصدد توضيح معناها مقارنة مع الاستعمالات الجديدة، ذلك أن كلمة (مقاربة) على وزن (مفاعلة) مصدر فاعل، يقول سيبويه «وأما فاعلتُ فإنّ المصدر منه الذي لا ينْكسر أبداً : مفاعلة»49/80 وعليه فدلالة قارَبَ على وزن فاعَل وهي كما يلي :

1- فاعل : للدلالة على المشاركة بين اثنين أو طرفين في حدث مادي أو معنوي مثل خاصمته، وضاربته. يقول سبويه : «اعلم أنك إذا قلت فاعلته، فقد كان من غيرِكَ مثل ما كان منْك إليه، ومثل ذلك : ضَارَبْتُه، وقارَفْتُه (وقارف الشيء : قاربه وخالطه) وخاصمني وخاصمته»ك4/68، **ومعلوم أنّ كل هذه الأمثلة التي أوردناها على وزن فاعَل يقال في مصادرها مفاعلة مثل المضاربة، والمفارقة، والمخاصمة، و المسابقة والمفاوضة، ومن هذا أيضا المقاربة. فهي في أغلبها تدل على اشتراك طرفين في حدث لأن الضرب، والخصام والسباق والمفاوضة مثلا لا تحدث من جهة واحدة في صيغة المفاعلة بالنسبة في صيغة المفاعلة. والحدث الذي يتم الاشتراك فيه بين طرفين في صيغة المفاعلة قد يكون معنى من المعاني أي الأسماء التي تدرك بالعقل ولا ترى أو تلمس بالحواس، وقد يكون اسم عين أي من الأشياء التي ندركها بحواسنا**، وفي هذا يقول الإسْترابادي : «واعلم أن الأصل المشترك فيه في بابي المُفاعلة والتفاعل، قد يكون معنى وهو الأكثر نحو : ضاربته وتضاربنا، وقد يكون عينا نحو ساهمته أي قارعته وسابقته وساجلته» ش الشافية .1/101

وسنزيد هذا توضيحا في الحلقة المقبلة إن شاء الله.

لماذا يغتر الإنسان بالدنيا؟!

ذ. محمد ابن شقرون

البشرية جمعاء، في حاجة ماسة إلى إعادة النظر في التربية الثقافية والسلوكية والاجتماعية، لأن هذه الأركان الثلاثة أساسُ بناء الأفراد والجماعات، في كل قطر وفي كل دولة، كيفما كانت ديانتها وثقافتها. والمسلمون، بصفة خاصة محتاجون إلى إعادة النظر في التربية الإيمانية، وما نشاهده في الساحة حاليا يترجم الإخلال الواضح في المعاملات بين المسلم وأخيه، في جميع الميادين وبدون استثناء، وإذا قيل في المثل : تفسير الواضحات من المفضحات؛ فتفسير سلوكات المسلمين مع بعضهم البعض يبين بجلاء هذا الواقع، ودائما نقول : إلا من أخذ الله بيده فأغلبية الصناع، مثلا لا يوفون بعهودهم مع من يتعاملون معهم، لا من حيث الزمن، ولا من حيث الجودة، ولا من حيث الثمن وغير ذلك كثير.

وفي ميدان القضاء حدث ولا حرج، وإذا ما اطلعت على عالم الشركات فالهم أكبر، أما ميدان الصحة، فيستحيي كل زائر وكل مريض أن يتكلم عما يجري في المستشفيات بصفة عامة.

كثير من المسلمين -عفا الله عنا وعنهم، تغيرت نظرتهم للحياة، أعطوها أكثر مما تستحق، من ملذات وشهوات وتفاخر في الأموال والأولاد، ظانين عن علم أو عن جهل أنها خالدة مخلدة، وسيبقى الشاب شابا والصحة صحة.

ومن يمارس التنقل داخل المدينة، بواسطة سيارات النقل الصغيرة والكبيرة، يحكم لا محالة بأننا نعيش في فوضى لاحد لها ولا نهاية، وهكذا.

كثيرا ما سمعنا وقرأنا وشاهدنا الذين اعتنقوا الإسلام يتحدّثون ويقولون : الإسلام هو الإسلام، ولكن أين المسلمون؟!

من الحكايات الواقعية التي تروَى، أن أحد الشباب المسلم، أراد الزواج بامرأة أجنبية واقترح عليها أن تعتنق الديانة الإسلامية، لما في ذلك من خير كبير لبناء أسرة تقوم على مرضاة الله سبحانه، ومرت الأيام فهدى الله المرأة إلى الإسلام، ففرح الشاب فرحا كبيرا، ولما حُدِّدَ وقت إتمام الزواج، رفضت وقالت له : أنا أصبحت مسلمة فعلا ولكن أفعالك وسلوكك بعيدان عن الإسلام مطلقا؛ ولذلك لا يمكنني أن أتزوج إنسانا يخالف ظاهرُه باطنه.

هذا أبسط مثال على حقيقة كثير من الشباب المسلمين الذين يسمون مسلمين إما تقليدا أو عادة، أو خلقوا في وسط مسلم وعاشوا هكذا.

ماذا نقول عن الذين لا يصلون، مع أن الصلاة عماد الدين؟ وهي الفعل الفاصل بين المسلم والكافر؟!

وماذا نقول عن الذين ينتهكون حرمات الله سرا وعلانية، من شرب للخمور وتعاطٍ المخدرات، التي تفنَّنَ في إنتاجها الماهرونَ والماهرات بشكل لافت للنظر، وبدون استحياء من رب العباد والناس.

وماذا نقول عن آكلي أموال الناس بالباطل عن طريق الرشاوى والغش، نسأل الله السلامة والعافية، فهل نحن الأمة التي قال فيها تعالى : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس...﴾(آل عمران : 110).

خذ العبرة أيها الإنسان ممن سبقوك ورحلوا إلى دار البقاء، كيف انتهت حياتهم؟ وانظر كذلك إلى الذين مازالوا يعيشون معك على مائدة واحدة هل حافظوا على شبابهم؟ هل بقيت صحتهم كصحتك أنت؟ الجواب واضح جلي أمام كل ذي بصيرة وبصَرٍ.

تأمل قول من لا ينطق عن الهوى، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنْكِبيّ فقال : «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعُدّ نفسك من أهل القبور» وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»(رواه البخاري والترمذي).

وخذ من صحتك لمرضك : المراد أن يغتنم الإنسان وقت شبابه ووقت صحته ووقت فراغه ووقت غناه ووقت شغله، وكلّ وقت.

ما أعظمك يا رسول الله صلى ربي عليك وسلم تسليما كثيرا، وأنت توجه النصائح الغالية الزكية إلى الشاب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ومن بعده جميع شباب المسلمين، في أقطار الدنيا.

إن الدنيا وما عليها وما فيها لا تساوي عند الله جناح بَعوضة، فما بالك بمن اتخذها خالدة مخلدة بسبب المال أو المنصب أو القوة أو الجاه أو الغرور والكبرياء أو الجهل، أو بسبب من الأسباب التي يعلمها الله سبحانه وحده.

ليس المؤمن كغيره من الناس يجتهد ويبذل قصارى جهده في كسب حطام الدنيا ويجمع ما فيها من ثروة ومال. بل نفسه متشوقة دائما إلى المعالي، مترفعة عن سفاسف الأمور، تعلو به إلى أرجاء قدسية من حب الخير والفضيلة وصالح الأعمال.

لقد نهل أصحاب رسول الله ﷺ من منبع النبوة والفضيلة فكانوا مصابيح تنير طريق الحيارَى في الحياة الدنيا، واضعين أمام أعينهم قول الله عز وجل ﴿إن الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة..﴾(التوبة : 111).

وما فتحت الدنيا على المسلمين، وانتشر الإسلام في بقاع الأرض إلا بسبب أولئك الأبطال العظام.

فلله درك يا ابن عمر قد تشربت معاني توجيه رسول الله ﷺ، فصرحت بقولك العظيم : "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك".

ما أحوج المسلمين إلى الاقتداء بسلفهم الصالح!! رضي الله عنهم أجمعين.

بِنَبْضِ القلب

نكهة الصوم

قال لي زميل في العمل : ألا تفكر بأخذ إجازة في رمضان، تتفرغ فيه للعبادة المحضة، بعيدا عن إرهاقات الوظيفة، وتعب المواصلات؟..

فأجبته بأني لا أشعر بنكهة رمضان إلا وأنا أشتغل بل إني أحس بثقل الصوم حين أكون من غير عمل، ولاسيما في أيام العطلة الأسبوعية...

كثير من الناس يُحولون شهر رمضان المعظم إلى شهر للراحة والكسل، والخمول... إن أجمل ساعات الصوم وأنبلها هي تلك التي تجعلك قريبا من الناس، ترعى مصالحهم وتحل مشاكلهم.. تساهم في الرفع من إنتاجية وطنك، وتعطي الدليل أن صفاء الروح الذي يزرعه فيك شهر الصوم لا يكتمل إلا بما تنثره يداك من خير ورفاه يعم سائر الناس من حولك.. لقد دأبت لما يقرب من عشرين عاما على برنامج بسيط خلال هذا الشهر الفضيل، يجمع بين المتعة والإفادة، حيث كنت ومازلت بحمد الله أستفيق ساعة قبل السحور، أقرأ ما تيسر فيها من كتاب الله عز وجل، وأصلي ركعيات حسب الممكن، ثم أتناول سحوري البسيط المكون عادة من حليب وقليل من رغيف أو حلوى، وأخرج لصلاة الصبح في المسجد، بعدها أنام ساعة أو ساعتين، أقوم بعدها وأتوجه إلى عملي الذي أمكث فيه إلى غاية الثالثة بعد الزوال، عند عودتي أستريح حتى صلاة العصر ثم أقوم لمساعدة زوجتي في إعداد مائدة الإفطار.

بعد الإفطار أستريح قليلا استعدادا لصلاة القيام، حيث أصطحب معي الأبناء ولاسيما لصلاة العشاء، وأترك لهم حرية إكمال صلاة التراويح كل حسب مقدوره.. في نهاية العطلة الأسبوعية حيث أشعر بثقل الصوم نظرا للفراغ الكبير خلال يومي العطلة، فإني أستعين بالقراءة ومشاهدة بعض البرامج والمسلسلات التي تجمع بين الترفيه والتثقيف كما أرفع من حصة الورد القرآني وأسعى لقضاء بعض الأغراض المنزلية وزيارة الأقارب... هذا البرنامج الذي يبدو بسيطا في مظهره جعلني أشعر بحلاوة هذا الشهر الذي يحررني طيلة النهار من عادات دأبت عليها خلال السنة؛ ويجعلني أعطي لشغلي حيزا أكبر، وكذا لمناجاة ربي.. إنها متعة العبادة الحقة التي لا تفرق بين السعي في خدمة الخلق ومناجاة الخالق... ذلك هو رمضان بالنسبة لي، شهر البطولات والعطاء.. بدر، حطين، عين جالوت.. وليس شهر الخمول وهدر الوقت والتهرب من خدمة البلاد والعباد.

ذ. أحمد الأشهب

الله سبحانه.. ونتائج العلم الأكثر حداثة

أ. د. عماد الدين خليل

سأقف اليوم بعض الوقت عند كتاب "العلم في منظوره الجديد" لروبرت اغروس وجورج ستانسيو(والذي نشر في العدد 134 من سلسلة عالم المعرفة في شباط 1989 م).

إن مترجم الكتاب الدكتور كمال خلايلي يلخص فصوله الخصبة بالحديث عن الظروف التي نشأت في ظلّها النظرة العلمية القديمة التي تطوّرت في العصور اللاحقة إلى مذهب مادّي صار يؤمن بأزلية المادة ويرفض -من ثمّ- كل ما هوغيبي، ولا يعترف في تفسيره لمختلف الظواهر إلاّ بنوعين من العلل هما : الضرورة والصدفة.

ازاء هذه النظرة المادية برزت إلى الوجود في مطلع القرن العشرين نظرة علمية منافسة كان من المع روّادها آباء الفيزياء الحديثة كآينشتاين وهايزنبرغ وبور.. وكثيرين غيرهم ممن استحدثوا مفاهيم جديدة كل الجدّة أطاحت بالمفاهيم والنظريات الفيزيائية السابقة التي كانت رائجة منذ عصر أرسطووحتى أواخر القرن التاسع عشر. فقد أثبت (آينشتاين) -مثلاً- نسبية الزمان والمكان، بل الحركة. وبيّن الفيزيائي الدانماركي (نيلز بور) أن الذرّة ليست أصغر جسيم يمكن تصوّره، كما كان (نيوتن) يظن، بل انها هي الأخرى مكونة من نواة يحيط بها عدد لا حصر له من الالكترونات. وأجمعت آراء كبار علماء الفيزياء النووية والكوزمولوجيا على أن الكون بما يحويه من ملايين المجرّات ومليارات النجوم والكواكب قد بدأ في لحظة محددة من الزمن يرجع تاريخها إلى ما بين 10 و20 مليار سنة، فثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن المادة ليست أزلية، وأن للنجوم آجالاً محددة تولد وتموت كالآدميين، وأن الكون المادي نفسه في تطور وتمدّد مستمرين. بل ان من بين الفيزيائيين الفلكيين المعاصرين من قادته نتائج أبحاثه إلى القول أن الكون كان مهّيأً منذ الانفجار العظيم لتطور مخلوقات عاقلة فيه، وأن الإنسان في مركز الغاية من إبداعه، فرأوا في ذلك كلّه، وفي الجمال المنتشر في الطبيعة، على جميع المستويات، هدفاً وخطة مرسومة، فآمنوا بعقل أزليّ الوجود، منتصب وراء هذا الكون واسع الأرجاء، يدبّر ويرعى شؤونه.

ثم أعقب هذا الجيل من الفيزيائيين والفلكيين جيل آخر من العلماء المتخصّصين في مبحث الأعصاب وجراحة الدماغ من أمثال (شرنغتون) و(اكلس) و(سبري) و(بنفيلد) وقفوا حياتهم كلّها على دراسة جسم الإنسان فانتهت به أبحاثهم إلى الإقرار بأن الإنسان مكوّن من عنصرين جوهريين : جسد فانٍ، وروح لا يعتريها الفناء، وبأن الإدراك الحسّي وإن كان يتوقف على عمليات فيزيائية وكيميائية، ليس شيئاً مادياً بحدّ ذاته. وخلصوا -كذلك- إلى ما يفيد بأن العقل والدماغ شيئان مختلفان تمام الاختلاف، وان الإرادة والأفكار ليستا من صنع المادة ولا من افرازاتها، بل هي على عكس ذلك تؤثر تأثيراً مباشراً في العمليات الفسيولوجية ذاتها.

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية شعر كثيرون من علماء النفس أن إخضاع العقل للغزيرة في طريقة التحليل النفسي وإلغاءه في المذهب السلوكي قد أفضيا إلى تجريد الإنسان من إنسانيته، فالتحمت في الخمسينيات من القرن الماضي قوّة ثالثة عرفت فيما بعد باسم "علم النفس الإنساني". ومن أبرز روّاد هذه المدرسة (فرانكل) و(ماسلو) و(ماي) الذين يعترفون بأوّلية العقل وبعدم قابلية حصره في الخواص الكيميائية والفيزيائية للمادة، وبكون الإنسان قوة واعية تملك حرية التصرّف والاختيار، ويرفضون من ثم تفسير السلوك البشري كلّه بلغة الدوافع والغرائز والضرورات البيولوجية وردود الفعل الآلية، ويؤمنون عوضاً عن ذلك بما يسمّى القيم الأخلاقية والجمالية والجوانب الروحية والنفسية والفكرية.

لا بأس -أخيراً- أن نقرأ معاً بعض مقاطع الفصل الرابع من الكتاب المذكور والذي يحمل عنوان : "الله" : "يبدو أن المادة ليست أزلية بالرغم من كل شيء. وكما يعلن عالم الفيزياء الفلكية (جوزف سلك) (فان بداية الزمن أمرٌ لا مناص منه). كما يخلص الفلكي (روبرت جاسترو) إلى أن (سلسلة الحوادث التي أدت إلى ظهور الإنسان بدأت فجأة وبعنف في لحظة محددة من الزمن، وفي ومضة ضوء وطاقة).

"إن النظرة العلمية الجديدة ترى أن الكون بمجموعه -بما في ذلك المادة والطاقة والمكان والزمان- حدث وقع في وقت واحد، وكانت له بداية محدّدة. ولكن لابدّ من أن شيئاً ما كان موجوداً على الدوام، لأنه إذا لم يوجد أي شيء من قبل على الإطلاق فلا شيء يمكن أن يوجد الآن. فالعدم لا ينتج عنه الاّ العدم، والكون المادي لا يمكن أن يكون ذلك الشيء الذي كان موجوداً على الدوام لأنه كان للمادة بداية. ومعنى ذلك أن أي شيء وجد دائماً هو شيء غير مادي. ويبدو أن الحقيقة غير المادية الوحيدة هي العقل. فإذا كان العقل هو الشيء الذي وجد دائماً فلابدّ أن تكون المادة من خلق عقل أزلي الوجود. وهذا يشير إلى وجود كائن عاقل وأزلي خلق كل الأشياء وهذا الكائن هوالذي نعنيه بعبارة (الله)..".

لقد انتهت قرون الصدام النكد الذي أقامته الكنيسة والإلحاد بين العلم والدين، وها هي معطيات العلم الأكثر حداثة تبحر باتجاه مضاد فتؤكد بقوّة الدليل العلمي وجود الله سبحانه والتحام العلم بالإيمان..

قسيمة الاشتراك

الإسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

.....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :

■ داخل المغرب : 60 درهما. ■ خارج المغرب : 20 أورو أو مايعادلها.

ترسل الإشتراكات باسم :

■ جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.

■ أو **جريدة المحجة** على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم : 2111113412900014

■ أو الأستاذ **المفضل فلواتي** على الحساب البريدي رقم : P 11329 **الرباط**.

أما قسيمة الإشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة، على العنوان التالي :

جريدة المحجة (قسم الاشتراك) :

حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 - الدكارات

فاس - المغرب

بارقة

الصين في مأزق مع العالم الاسلامي

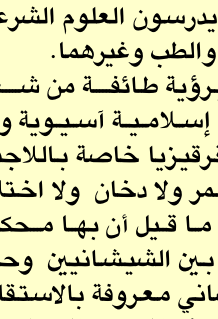

د. عبد السلام الهراس

ما ارتكبته الصين وترتكبه في تركستان الشرقية من إبادة شعب الإيغور وتمزيقه وتشريده وإغراق وطنه بشعب الهان الصيني لم يعد يخفى على أحد، وإن هذا الشعب العظيم سيظل حيا وقويا أمام النظام الصيني الظالم حتى يحقق الله له مطامحه ويعيده عزيزا كريما إلى بلده....

ولقد كرمني الله برؤية طائفة من هذا الشعب في قرقيزيا وفي مدينة بشكيك العاصمة وفي سوق مشهورة هنالك حيث يملؤها تجار هذا الشعب العظيم وقد شاهدت تماسك هذه الطائفة ووحدة أسرها ونشاط شبابها واحترام شيوخها الذين رأيت بعضهم ممسكا المصحف يقرؤه في خشوع وحسن أدب , وقد أخبرنا ولده الذي يباشر البيع في الدكان أن أباه عاد أمس من الديار المقدسة بعد أدائه فريضة الحج. وكان يعجبني أن أرتاد هذه السوق مشتريا وزائرا ومتبركا برؤية هذه الطائفة المؤمنة المتمسكة بدينها وعقيدتها وبعزتها وشرفها والصامدة في وجه الظلم الصيني والتآمر العالمي. كما أكرمني الله بالاجتماع ببعض الإيغوريين وغير الإيغوريين بجدة حيث توجد جمعيات عظيمة تقوم بمشاريع كبيرة لاحتضان اللاجئين الإيغوريين والإنفاق بسخاء على طلاب العلم الذين لهم مناهج دراسية خاصة بهم حيث يدرسون العلوم الشرعية بجانب دراستهم للهندسة والطب وغيرهما.

كما أكرمني الله برؤية طائفة من شعب الشيشان في عدة بلدان إسلامية آسيوية وقد شاهدت قرية شيشانية بقرقيزيا خاصة باللاجئين الشيشان لا يوجد فيها خمر ولا دخان ولا اختلاط ولا انحراف ومن أعجب ما قيل أن بها محكمة شيشانية شرعية تفصل بين الشيشانيين وحتى بين شيشاني وغير شيشاني معروفة بالاستقامة والعدل. وأحسن ما قرأت أن المحاكم الإسلامية الموجودة في انجلترا تحكم في دعاوى يرفعها إليها الانجليز غير المسلمين ويرتضون بحكمها لأنها تحكم بالعدل وأحكامها نافذة بمقتضى القانون الإنجليزي.

إن الصين انكشفت حقيقتها أمام الشعوب الإسلامية التي كانت معجبة بها بل تشايعها وتعتبرها قريبة من المسلمين ومن قضاياهم ولكنها اليوم أصبحت في مقدمة الدول الاستعمارية الاستيطانية تنافس الصهيونية في الظلم واغتصاب حقوق الشعوب واضطهادها. ولا يغرن الصين أن بعض الأنظمة الاستبدادية في العالم الإسلامي لا تتجاوب مع قضية شعب الإيغور لأنها لا تتجاوب حتى مع قضية شعبها فهي أنظمة ظالمة قاهرة مرفوضة من شعوبها.فالمهم هي الشعوب الإسلامية الواعية المتجاوبة مع قضية شعب الإيغور تجاوبا عظيما وسترى الصين نتيجة هذا التجاوب الصادق ويبدو أن الصين فقدت حكمة فلاسفتها وحكمائها وأصبحت تمثل دولة استعمارية قاهرة وسيكون مآلها كالاتحاد السوفياتي وقبلها إنجلترا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون.